التصوف عند فلاسفة القرن الثاني عشر "هيلديجارد من بينجن نموذجاً"

Mysticism among twelfth-century philosophers: Hildegard of Bingen as a model

د/ دينا شمس الدين علي يوسف

مدرس فلسفة العصور الوسطى- كلية الآداب- جامعة طنطا

dina_shams@art.tanta.edu.eg

ملخص:

تتناول هذه الدراسة التصوف عند فلاسفة القرن الثاني عشر "هيلديجارد من بينجن نموذجاً" **Hildegard of bingen** (1098م–1179م)، وتُعد هيلديجارد أول صوفية ألمانية، في القرن الثاني عشر. تنتمي إلى الرهبنة البنديكيه. أصبحت مشهورة بسبب تعاليمها الروحية العميقة، والرؤى الغريبة التي كانت تراها. كتبت بغزارة كنبية وموسيقية وطبيبة وشاعرة وفيلسوفة ومسيحية صوفية ورئيسة دير بندكتية وكاتبة مسرحية وخبيرة في الأخلاق السياسية، وشخصية كثيرة الرؤى وواسعة الاطلاع. كانت امرأة غير عادية مارست تأثيرًا هائلاً -دنيويًا وروحيًا- على عصرها.

تنطلق الباحثة في دراستها من فرضية أساسية هي: لماذا التصوف عند هيلديجارد من بنيجن؟ وتناقش هذه الفرضية من خلال التساؤلات التالية:- من هي هيلديجارد من بنيجن؟، ما هو مفهوم التصوف وطبيعته؟، كيف ربطت هيلديجارد من بنيجن بين التصوف والطبيعة؟، ما هي طبيعة الخلق في تصوف هيلديجارد؟، ما الصلة بين التصوف والموسيقى عند هيلديجارد؟، كيف ربطت هيلديجارد التصوف بالطب؟.

اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن.

تتألف هذه الدراسة من مقدمة وستة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع..

المبحث الأول: حياة هيلديجارد وأهم أعمالها.**المبحث الثاني:** مفهوم التصوف وطبيعته. **المبحث الثالث:** التصوف والطبيعة. **المبحث الرابع:** التصوف والخلق. **المبحث الخامس:** التصوف والموسيقي. **المبحث السادس:** التصوف والطب. الخاتمة تتضمن أهم النتائج، وقد أعقبتها بقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: هيلديجارد من بنيجن - التصوف- الطبيعة- الخلق- الموسيقى- الطب.

Abstract:

This study examines mysticism among twelfth-century philosophers, with Hildegard of Bingen (1098–1179) as a model. Hildegard is considered the first German mystic of the twelfth century and one of the greatest mystics of the Middle Ages. A member of the Benedictine order, she became famous for her profound spiritual teachings and the strange visions she experienced. She wrote prolifically as a prophetess, musician, physician, poet, philosopher, Christian mystic, Benedictine abbess, playwright, political moralist, and a visionary and well-read person. She was an extraordinary woman who exerted tremendous influence—both worldly and spiritual—on her era.

The researcher's study begins with a basic hypothesis: Why did Hildegard of Bingen embrace mysticism? This hypothesis is discussed through the following questions: Who is Hildegard of Bingen? What is the concept and nature of mysticism? How did Hildegard of Bingen concept mysticism and nature? What is the nature of creation in Hildegard's mysticism? What is the connection between mysticism and music for Hildegard? How did Hildegard link mysticism to medicine?

The researcher relied on historical, analytical, and comparative approaches.

This study consists of an introduction, six chapters, a conclusion, and a list of sources and references.

chapter One: Hildegard's life and most important works. **chapter Two**: The concept and nature of mysticism. **chapter Three**: Mysticism and nature. **Chapter Four**: Mysticism and creation. **chapter Five**: Mysticism and music. **chapter Six**: Mysticism and medicine. The conclusion includes the most important findings, followed by a list of sources and references.

Keywords: Hildegard of Bingen - mysticism - nature - creation - music - medicine.

مقدمة:

أولاً: أهمية الموضوع:

التصوف هو نزعة إنسانية ظهرت في كل الثقافات بصورة متفاوتة، وهو في جوهره تعبير عن إشباع الجانب الروحي، والزهد في متع الحياة الفانية، والركون والدعوة إلى قوة أعلى، ورغبة في التعالي عن الشهوات المادية، بغية الارتقاء في سلم الصفاء الروحي، والوصول إلى السعادة .

يعود التصوف المسيحي إلى القرون الميلادية الخمسة الأولى، عندما ظهرت مجموعة من الروحانيين المسيحيين ذكرهم التاريخ المسيحي بعد ذلك على أنهم معلمو اللاهوت الروحي، وهم أوريجانوس (185م-254م) ، وأنطونيوس (111م- 130م) ، وباسيليوس الكبير (330م- 379م)، وغريغوريوس أسقف نيصص (335م- 395م)، وغريغوريوس الثيؤلوغوس (329م- 390م)، وأوريليوس أمبروزيوس (337م-397م)، والقديس أوغسطين(354م-430م) .هؤلاء السبعة هم أصحاب أغلب نصوص العبادة اللاهوتية والشروحات الروحية، وهم أول من بدأ التصوف المسيحي من خلال القراءة الروحية والتأويل الرمزي والمجازي للنص المقدس.

شهدت العصور الوسطى ازدهارًا للتصوف المسيحي والتنظير الموافق له رافقه ازدهار الرهبانيات الجديدة في العالم المسيحي، مع شخصيات بارزة مثل برنارد من كليرفو(1090م- 1153م)، وهيلديجارد من بنيجن Hildegar of bingen (1098م–1179م)، وتطوّر في العصور الوسطى التصوف الألماني بشكل خاص على يد الدومينيكان، تتوج مع اللاهوت التصوفي ومن أبرز منظريه ميستر إيكهارت (1260م-1327م). في عصر النهضة خلال الإصلاح الكاثوليكي أو الإحياء الكاثوليكي ازدهر التصوف الإسباني رافقه كتابات حول التصوف المسيحي، وتعتبر هذه الفترة عصر النهضة الأدبية للتصوف في التقاليد والثقافة الكاثوليكية. أبرز أعلام هذه الفترة القديسة تريزا الأفيلية (1115م- 1582م)، والقديس يوحنا الصليب (1542م- 1591م)، وفرنسيس بورجيا(1510م-1572م)، وإغناطيوس دي لويولا (1491م- 1556م).

لذا سوف أتناول في هذه الدراسة شخصية من أبرز الشخصيات الممثلة للتصوف المسيحي في القرن الثاني عشر، وهي القديسة هيلديجارد من بينجن" بالألمانية Hildegard von Bingen ، وتُعرف أيضًا باسم القديسة هيلدغارد " عرافة الراين".

على الرغم من أنها كانت شخصية مغمورة في تاريخ ولاهوت القرن الثاني عشر، إلا أنها حازت اليوم على اهتمام الباحثين وعامة القراء على حد سواء. ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب وهي:

أولاً: موهبتها التي ساهمت في إعادة اكتشافها من قِبل الباحثين وفي اتساع نطاق جاذبيتها. فمجالها مُثير للإعجاب: فهي موسيقية، ولاهوتية، وصوفية، ونبيه، وعالمة أحياء، وخبيرة أعشاب، ومعالجة، ومراسلة،

وكاتبة مسرحية، وواعظة، وعالمة في علم الكونيات، ومفسرة للأمور الإنسانية والإلهية، وقائدة في مجتمعها الديني، وفيلسوفة ورئيسة دير بندكتية وشخصية كثيرة الرؤى وواسعة الاطلاع.

ثانياً: على الرغم من أنها عاشت في عالمٍ انفصلت فيه افتراضاتها جذريًا عن عالمنا، إلا أنها تُخاطبنا اليوم عبر القرون كصوتٍ مهمٍ يُعبّر عن همومنا المشتركة. وتشمل هذه الهموم رؤية الخاص والعام في الخلق، وإعادة اكتشاف تكاملية صور النوع الاجتماعي، وإظهار إمكانية إبداع المرأة في علاقتها بالله والبشر. فهي شخصية عمليةٌ جداً، ومع ذلك شغوفةٌ باهتمامها بما تُمليه عليها رؤاها من مسارٍ صحيح. فهي باختصار تُثير اهتمامنا على مستوياتٍ مُختلفة. وكما سنرى من خلال صفحات ذلك البحث ، فإن بعض هذا الجذب ضمنيٌّ بقدر ما هو صريح؛ لأن حياتها وأعمالها جزءٌ لا يتجزأ من كلٍّ مُعقد، لدرجة أن الانجذاب الذي نشعر به نحوها قد يكون عمليةً واعيةً وغير واعية.

ثالثاً: أصبحت أعمالها متاحة لنا أكثر فأكثر. حيث اختفت هيلديجارد حرفيًا من التاريخ والسجلات حتى القرن التاسع عشر؛ ورغم أن عيدها كان لا يزال يُحتفل به في ألمانيا، إلا أنه لم يُبذل أي جهد منهجي لسماع صوتها في الفترة الفاصلة، وكان إعادة اكتشافها عرضيًا تقريبًا، عندما عثر العلماء على أجزاء من عملها وإشارات إليها.

تعود جذور روحانية هيلديجارد إلى عقيدة الكنيسة الكاثوليكية ولاهوتها. وقد تم تقديسها كقديسة والاعتراف بها كطبيبة للكنيسة في عام 2012 نتيجة لإسهاماتها في اللاهوت والطب. الأمر الأكثر أهمية الذي يجب علينا الإشارة له هو أن هيلديجارد واحدة من ستة وثلاثين شخصًا فقط (وأربع نساء فقط) حصلوا على لقب طبيبة، طوال تاريخ الكنيسة.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

تنطلق الباحثة في دراستها من فرضية أساسية هي: لماذا التصوف عند هيلديجارد من بنيجن؟ وتناقش هذه الفرضية من خلال التساؤلات التالية:-

1- من هي هيلديجارد من بنيجن؟

2- ما هو مفهوم التصوف وطبيعته؟

3- كيف ربطت هيلديجارد من بنيجن بين التصوف والطبيعة؟

4- ما هي طبيعة الخلق في تصوف هيلديجارد؟

5- ما الصلة بين التصوف والموسيقى عند هيلديجارد؟

6- كيف ربطت هيلديجارد التصوف بالطب؟

ثالثاً: المنهج المستخدم:

المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن.

رابعاً: الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة عن هيلديجارد من بينجن باللغة العربية على حد علم الباحثة.

خامساً: خطة الدراسة:

تتألف هذه الدراسة من مقدمة وستة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة: تتضمن التعريف بالبحث وأهميته، والمنهج المستخدم فيه، وتساؤلات الدراسة.

- المبحث الأول: حياة هيلديجارد وأهم أعمالها.
- المبحث الثاني: مفهوم التصوف وطبيعته.
- المبحث الثالث: التصوف والطبيعة.
- المبحث الرابع: التصوف والخلق.
- المبحث الخامس: التصوف والموسيقي.
- المبحث السادس: التصوف والطب.
- الخاتمة تتضمن أهم النتائج، وقد أعقبتها بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: حياة هيلديجارد وأهم أعمالها:

أ- حياتها:

تُعد هيلديجارد أول صوفية ألمانية، في القرن الثاني عشر وهي واحدة من أعظم المتصوفة في العصور الوسطى. أصبحت مشهورة بسبب تعاليمها الروحية العميقة، والرؤى الغريبة التي كانت تراها.[1] كتبت بغزارة كنبية وشاعرة وكاتبة مسرحية وموسيقية وطبيبة وخبيرة في الأخلاق السياسية. كانت امرأة غير عادية مارست تأثيرًا هائلاً -دنيويًا وروحيًا- على عصرها.[2]

ولدت هيلديجارد في عام 1098م في بوكيلهايم Bockelheim ، أبرشية ماينزMainz ، على نهر ناهي. كان والدها، هيلديبيرت، فارسًا في خدمة ميجينهارد، كونت سبانهايم.[3] كانت والدتها عضواً في عائلة كبيرة من النبلاء الألمان. تشير السجلات إلى أن هيلديجار هي الطفل العاشر في العائلة، لذا تعهدت بدفع العُشر لخدمة الكنيسة، كان لدى هيلديجارد شقيقان وراهب كرسوا حياتهم في النهاية للكنيسة. وكان من ضمن أسباب إلزامها بالحياة الدينية في وقت مبكر جداً، أنها منذ ولادتها كانت طفلة ضعيفة تعاني باستمرار من نوبات المرض، هذا بالإضافة إلى أنها أظهرت سلوكاً غريباً تسبب في إحراج الأسرة. ففي سن الخامسة على سبيل المثال، أخافت مربيتها من خلال التنبؤ بدقة بلون عجل لم يولد بعد في بقرة حامل، وفي بعض الأحيان كانت

[1] جوناتان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ترجمة سليم إسكندر، مايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 176.

[2] Hildegard: **Healing Plants**, Translated by BruceW. Hozeski, Beacon Press, Boston, 2001, P.Vii.

[3] **Loc.cit**.

تدعي أنها تستطيع رؤية أماكن بعيدة أو مشاهد من الماضي.[1] وفي سن السادسة، بدأت الطفلة ترى الرؤى الدينية التي استمرت بقية حياتها. وبعد عامين، عُهدت إلى رعاية جوتا، شقيقة الكونت ميجينهارد. عاش الاثنان في كوخ صغير مجاور لكنيسة الدير الذي أسسه القديس ديسيبودي في ديسيبوديبيرج. على الرغم من كونها طفلة مريضة، واصلت هيلديجارد تعليمها تحت إشراف جوتا، وتعلمت القراءة والغناء باللغة اللاتينية. في سن الخامسة عشرة، ارتدت زي الراهبة في دير جوتا، الذي اجتذب حينئذ عددًا كافيًا من الأتباع ليصبح جماعة، وفقًا لقاعدة القديس بنديكت. عندما توفيت جوتا في عام 1136م، أصبحت هيلديجارد، في سن الثامنة والثلاثين، رئيسة الجماعة.[2]

كانت هيلديجارد ذات قوة عقلية، تعلمت اللاهوت، واطلعت على الطب والعلوم الطبيعية النادرة في عصر سبق فيه إعادة فتح المجلد الكبير من المعرفة الأرسطية في القرن الثالث عشر. وعلى الرغم من ذلك إلا أنها كانت دائماً تؤكد أميتها، ويبدو أنها كانت دائماً تستخدم رهباناً متعلمين لمساعدتها على التعبير باللغة اللاتينية عن الأفكار والكلمات التي كانت تقول إنها أعطيت لها في الرؤى. وقد أثارت مواهبها العديد من النعمة*، إن لم يكن علمها إعجاب معاصريها الذين أتوا إليها طلباً للتنوير بشأن نقاط العقيدة، وتفسير الكتاب المقدس؛ وكانوا ينتظرون بصبر حتى تتمكن من الإجابة؛ لأن إجاباتها لم تكن من خلال تفكيرها، بل كانت لا بد من رؤيتها أو سماعها.[3]

كانت ترى نفسها نبيه أرسلها الله لإيقاظ عصر كانت فيه مشاكل كثيرة جداً كانت تحاصر الكنيسة، ولم يعد الناس يفهمون الكتاب المقدس، فحاولت التخفيف من تلك المشاكل. فقامت،

أولاً: بكتابة رسائل إلى الزعماء العلمانيين والدينيين، والوعظ ضد أولئك الذين اعتبرتهم مذنبين، وتحقيقاً لهذه الغاية قامت بجولات وعظية في جميع أنحاء ألمانيا. وعظت في الكاتدرائيات والأديرة والمجامع. وعالجت ذلك في كتاباتها التي كانت في الأساس تفسيرات لرؤياها الخاصة.

---

[1] Nancy Fierro: **Hildegard of Bingen and Her Vision of the Feminine,** Published by Sheed& Ward, Kansas City, 1994, P.12.

[2] Hildegard: **Healing Plants**, PP. Vii-Viii.

* **النعمة**: هي عطية من الله لخليقته الناطقة، لم تكن حقاً لا لطبيعتها ولا لاستحقاقاتها، ترفعها إلى حالة التبني وإلى الاشتراك في الحياة الإلهية، والنعمة نوعان وهما: النعمة الحالية ؛ وهي النعمة الثابتة، والنعمة الفعلية؛ وهي النعمة الممنوحة عند القيام بالفعل. **(انظر: الأب صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط3، 1998م.ص ص 513،514، " مادة نعمة").**

[3] Henry Osborn Taylor: **THE MEDIAEVAL MIND A HISTORY OF THE DEVELOPMENT OF THOUGHT AND EMOTION IN THE MIDDLE AGES,** Vol.1, THE MACMILLAN COMPANY, Third (American) edition, New york, 1919, P. 446.

ثانياً حاولت إلقاء ضوء جديد على الوحي المسيحي من خلال توضيحه بصور حية أصيلة، وتجسيدات لمفاهيم مجردة.[1]

لقد دُعيت هيلديجارد إلى قصر الإمبراطور العظيم، فريدريك الأول، باربروسا، حيث أدلت ببعض النبوءات لمضيفها الإمبراطوري.بالإضافة إلى أنها أنتجت ونظمت مسرحية أخلاقية متقنة، كتبت لها الكلمات والموسيقى، وهي الأولى من نوعها التي ابتكرت ذلك الشكل. وتمكنت من تأسيس ديرين منفصلين بنفسها، وكانت هي رئيستهما. واستشارها الكهنة بشأن الامتيازات والمجالات الخاصة بالذكور، وكيفية إجراء القداس بشكل صحيح، وكيفية حل بعض الأسرار الدينية الباطنية. وكتبت ثلاثة كتب رئيسية تتميز بأصالة مذهلة في الفكر والصورة.[2]

مع استمرار رؤيتها، انتشرت أخبارها إلى معترفها الراهب جودفري ورئيس دير جودفري كونون. وقد لفت كونون انتباه رئيس أساقفة ماينز إلى الأمر، ففحص رؤياها مع علماء الدين التابعين له وقرر أنها مستوحاة من الله، وأنه ينبغي لها أن تبدأ في تسجيل رؤياها كتابةً. وفي عام 1141م، بدأت هيلديجارد في كتابة عملها الرئيسي " المعرفة Scivias". وفي عام 1147م، عندما جاء البابا يوجينيوس الثالث إلى المنطقة، أحضر رئيس أساقفة ماينز رؤى هيلديجارد إليه. فعين البابا لجنة لفحصها، وتلقى تقريرًا إيجابيًا من اللجنة، وناقشها مع مستشاريه ـ بما في ذلك القديس برنارد من كليرفو(1090م-1153م)* ـ وأذن لها بكتابة أي شيء أوحى إليها الروح القدس بكتابته. ونتيجة لشهرتها، تزايد عدد الرهبان الذين كانت هيلديجارد تزورهم في ديسيبودينبيرج، حتى أصبح من الضروري لها أن تنقل ديرها إلى روبرتسبيرج، بالقرب من بينجن. وقد استاء رهبان دير القديسة ديسيبود، الذين كانت أهميتهم تعتمد إلى حد ما على السمعة المتنامية التي اكتسبتها هيلديجارد، من هذه الخطوة، ولكن في وقت ما بين عامي 1147م و1150م، نقلت هيلديجارد جماعتها إلى كنيسة متداعية ومباني غير مكتملة بالقرب من بينجن. وحرصت هيلديجارد على بناء دير واسع استمر في جذب أعداد متزايدة من الرهبان. وعاشت فيه، باستثناء فترة رحلاتها المكثفة في أوروبا الغربية، وكتبت معظم

---

[1] Claudia Eisen Murphy: "art: Hildegard Of Bingen", In **Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy,** Published by Routledge, London, 2000, P.353.

[2] Joseph L. Baird: **The Personal Correspondence of Hildegard of Bingen**, OXFORD UNIVERSITY PRESS, New York, 2006. P.4.

* **القديس برنار من كليرفو**: راهب ولاهوتي مؤسس دير كليرفو. عارض مذهب أبيلار العقلي. وترك أكثر من عشر رسائل في اللاهوت: ومنها رسالة في حب الله وفي النعمة وحرية الاختيار، كان شخصية تهتم بالجانب العملي أكثر من النظري، وان داعية للحملة الصليبية الثانية. **(انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيون – المتصوفون)، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006م، ص 168، " مادة برنار دي كليرفو، القديس").**

كتاباتها، واستمرت في منصبها كرئيسة للدير حتى وفاتها. وتوفيت في 17 سبتمبر 1179م، ودُفنت في كنيسة الدير حيث بقيت رفاتها حتى دمر السويديون الدير في عام 1632م، عندما نُقلت رفاتها إلى إيبينجن.[1]

على الرغم من إنجازاتها وشهرتها، استمرت الكنيسة في اعتبار النساء ليس فقط مواطنات من الدرجة الثانية، بل إغراءات خطيرة وعقبات أمام الفضيلة. زعم القديس برنارد من كليرفو، أن الرجل لا يستطيع الارتباط بامرأة دون الرغبة في ممارسة الجنس معها، ومنعت الرهبنة الكنسية للرهبان Premonstratensians " مرضى ما قبل انقطاع الطمث" من النساء من الانضمام إلى رهبنتهم، مدعيةً أنها أدركت "أن شر النساء أعظم من كل شرور العالم". وكان هذا النوع من العقلية المعادية للنساء تحديدًا هو ما كافحت هيلديجارد ضده، ليس فقط داخل الكنيسة، بل في مجتمع العصور الوسطى عمومًا. مع ذلك، اعترفت الكنيسة بأهمية عملها، واعتُبرت امرأةً بارزةً في عصرها. [2]

ب- أهم أعمالها:

أولاً: الأعمال اللاهوتية والفلسفية:

- كتاب المعرفة Scivias.
- كتاب الأعمال الإلهية The Book of Divine Works.[3]
- كتاب الفعل الإلهي Activity of God .[4]
- كتاب مكافآت الحياة Liber Vitae Meritorum.[5]

ثانياً: الأعمال المرتبطة بالطقوس:

- تعليقات الأناجيل gospel commentaries.
- تعليقات على قاعدة القديس بنديكت وعقيدة أثناسيوس commentaries on the Rule of Saint Benedict and the Athanasian Creed.
- حلول الأسئلة الثمانية والثلاثين the Solutiones triginta octo quaestionum (Solutions for Thirty-Eight Questions).[1]

---

[1] HILDEGARD OF BINGEN: **Liber Vitae Meritorum,** translated by Bruce W. Hozeski, Oxford University Press, New York, 1997, PP..xi- xii.

[2] https://www.worldhistory.org/Hildegard_of_Bingen/ تاريخ الدخول2024/10/12 م .

[3] HILDEGARD OF BINGEN: **Solutions to Thirty-Eight Questions**, Translated by Beverly Mayne: Kienzle with Jenny C. Bledsoe and Stephen H. Behnke , Introduction and Notes by Beverly Mayne Kienzle with Jenny C. Bledsoe, LITURGICAL PRESS , Collegeville, Minnesota , 2014, PP.3-4.

[4] John Gunn: **HILDEGARD A play**, published by Turnkey Productions, Avalon Beach, NSW,1999, P.Vii.

[5] https://www.thecollector.com/hildegard-of-bingen-notable-works/

تاريخ الدخول2024/10/12م.

ثالثاً: الأعمال الطبية النباتية:

- كتاب دقائق الطبيعة المتنوعة للمخلوقات Subtleties of the Different Natures of Creature.[2]
- كتاب الفيزياء "Physica " .
- كتاب الأسباب والعلاج Causae et Curae.[3]
- النباتات العلاجية Healing Plants.
- كتاب فضائل الحياة the Book of Life's Merits.[4]
- الطب البسيط Liber simplicis medicinae.[5]
- كتاب الأحجار الكريمة the Book of Gemstones.[6]

رابعاً: الأعمال الموسيقية:

- أهم أعمالها الموسيقية الدراما الطقسية "ترتيب الفضائل Ordo virtutum " . أول مسرحية أخلاقية موجودة، تتناول حياة القديسين ديسيبود وروبرت Disibod and Rupert ".
- الترانيم الليتورجية للسيمفونية the liturgical songs of the Symphonia.[7]
- سيمفونية تناغم الوحي السماوي The Symphony of the Harmony of Heavenly Revelations، عبارة عن مجموعة من سبع وسبعين أغنية للترانيم والصلوات.[8]

خامساً: الرسائل:

- أكثر من ثلاثمائة رسالة اشتملت على:
- الرسائل التي تحفظ الخطب " المواعظ" التي ألقتها several that preserve sermons she delivered.

---

[1] Saint Hildegard: Homilies on the Gospels, **Translated with Introduction and Notes by Beverly Mayne Kienzle**, published by Liturgical Press, Abbey of Gethsemani, 2011, PP.6-7.
[2] Barbara Newman: **Hildegard's Life and Times,** In Voice of the Living Light: Hildegard of Bingen and Her World, UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS, London, 1998, P.15.
[3] Maud Burnett McInerney: **Hildegard of Bingen A Book of Essays,** Publishing Turnhout, Belgium, 2013, P.xix.
[4] Hildegard: **Healing Plants**, P.x.
[5] https://www.poetryfoundation.org/poets/hildegard-of-bingen تاريخ الدخول2024/10/12م.
[6] https://unamsanctamcatholicam.com/2022/04/25/st-hildegard-on-gemstones/ تاريخ الدخول2024/10/12م.
[7] Saint Hildegard: Homilies on the Gospels, **Translated with Introduction and Notes by Beverly Mayne Kienzle** PP.5-6.
[8] https://www.poetryfoundation.org/poets/hildegard-of-bingen تاريخ الدخول2024/10/12م.

- لغة مشفرة "منظمة" لراهباتها a coded language for her nuns .
- معارض الإنجيل the Expositiones euangeliorum [1].

بالإضافة إلى جانب إسهاماتها في اللاهوت والفلسفة والموسيقى والطب وغيرها، ابتكرت هيلديجارد نظام " الأبجدية البديلة " (Litterae ignotae)، الذي استخدمته في ترانيمها لاختصار القافية، وربما لإضفاء بُعدٍ آخر ومستوىً أسمى على نصها.[2] كما اخترعت " اللغة المجهولة "، وهي بنيتها اللغوية الخاصة التي تتألف من تسعمائة كلمة وأبجدية مكونة من ثلاثة وعشرين حرفًا، والتي ساهمت في فصل نظامها عن العالم الدنيوي ورفعه.[3]

المبحث الثاني: مفهوم التصوف وطبيعته:

التصوف المسيحي هو اختبار لله من خلال السرّ الذي يكشفه لنا، أو الأسرار أو العلامات التي تأتينا في شأنه. وهو بالمعنى التوسّعيّ، ولا سيما في أيّامنا، كلّ اختبار عميق لله وكل مذهب خاص بهذا الاختبار.[4]

لذا نجد التصوف عند هيلديجارد هو عبارة عن رؤى من الله لها، وقد أكدت هيلديجارد أن رؤاها تحدث في حالة يقظة وليس في أي حالة من النشوة. فهي لا تعيش رؤاها بشكل متقطع بل كانت على دراية بها باستمرار منذ طفولتها المبكرة.[5]

تقول هيلديجارد: " لقد رأيت منذ طفولتي، أي منذ سن الخامسة ـ قوة وسرًا عجيبين، كما أرى الآن رؤى سرية رائعة. ولكنني لم أعرضها على أحد سوى عدد قليل من الأشخاص المتدينين الذين كانوا يعيشون على نفس الطريقة التي كنت أعيش بها؛ ولكنني أخفيتها في صمت هادئ حتى جاء الوقت الذي أراد الله فيه بنعمته أن تظهر فيه. ولكنني لم أدرك الرؤى التي رأيتها في الأحلام، أو النوم، أو الهذيان، أو بعيون الجسد، أو بآذان الذات الخارجية، أو في أماكن خفية؛ بل تلقيتها وأنا مستيقظة وأرى بعقل نقي وعيون وآذان الذات الداخلية، في أماكن مفتوحة، كما أراد الله ذلك. أما كيف يمكن أن يكون هذا، فهذا أمر يصعب على الجسد الفاني أن يفهمه أو يدركه".[6]

---

[1] Saint Hildegard: Homilies on the Gospels, **Translated with Introduction and Notes by Beverly Mayne Kienzle** P.6.

[2] https://www.worldhistory.org/Hildegard_of_Bingen/ تاريخ الدخول2024/10/12م.

[3] Hildegard: **Healing Plants**, P.xiii.

[4] **الأب صبحي حموي اليسوعي:** معجم الإيمان المسيحي، ص147، " مادة تصوف".

[5] James Ginther : **Hildegard of Bingen's Theology**, In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, Cambridge University Press, United Kingdom, 2021, PP.89

[6] HILDEGARD OF BINGEN: **SCIVIAS**, TRANSLATED BY MOTHER COLUMBA HART AND JANE BISHOP, INTRODUCED BY BARBARA J. NEWMAN, PREFACE BY CAROLINE WALKER BYNUM, PAULIST PRESS , NEW YORK , 1990, P.60.

يؤكد مفهوم التصوف عند هيلديجارد ما ذكره المتصوف الإسلامي الحلاج (858 م- 922م) في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع في وصفه لحال فنائه قائلاً: " إذا أراد الله أن يوالي عبدا من عباده فتح عليه باب الذكر، ثم فتح عليه باب القرب، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب، فيريه الفردانية بالمشاهدة، ثم أدخله دار الفردانية، ثم كشف عنه الكبرياء والجمال، فإذا وقع بصره على الجمال بقي بلا هو، فحينئذ صار العبد فانيا، وبالحق باقيا، فوقع في حفظه سبحانه. وبريء من دعاوى نفسه".[1]

أكدت هيلديجار أن هناك تنوعاً في ما تراه وتسمعه روحياً، ولكنه يعتمد على العناصر الطبيعية من حولها. هذا بالإضافة إلى أنه توجد صلة مباشرة بين هبة الرؤى ومعاناتها الجسدية. حيث تضاء الرؤية الروحية المستمرة بنور حاضر دائمًا، أطلقت عليه هيلديجارد اسم "ظل النور الحي" (umbra uiuentis luminis). وهو أشبه بمرآة أو مسطح مائي يعكس " كتابات وأقوال وفضائل وأعمال البشر". وعلى خلفية هذه الرؤية الروحية المستمرة، التي تنيرها ظلال النور الحي، قد تحدث رؤية أكثر تحفظًا، والتي تذكرها هيلديجارد بأنها مضاءة بالنور الحي مباشرة.[2]

تقول هيلديجارد : " رأيت عددًا لا يحصى من الأنوار الحية، متألقة كتألق ناري؛ بحيرة واسعة وعميقة يتصاعد منها دخان ناري ذو رائحة كريهة، ويخرج منها ضباب مقزز. وفي مكان أكثر إشراقا اقتربت سحابة بيضاء، ذات شكل بشري جميل، تحتوي على العديد من النجوم، وتحجب هذا الشكل البشري أو ذاك. ثم أحاطت أشعة شديدة الإشراق بهذه المنطقة كلها، وأصبحت الأشياء كلها في العالم التي كانت في حالة راحة من قبل مضطربة وأظهرت الرعب. وسمعت مجدداً من تحدث معي من قبل يقول: إن الذين يتمسكون بالله بأمانة ويحترقون بالحب الجدير بالثناء لا يخافون من أي هجوم من الإثم، ولا ينفصلون عن مجد الفرح الخارق للطبيعة؛ "ولكن بعد الفحص العادل، سيتم رفض كل أولئك الذين يخدمون الله نفاقًا ولا يستطيعون الصعود في الطريق؛ وسوف يتم نزع ما يعتقدون أنهم يمتلكونه أيضًا منهم".[3]

كما قالت أيضاً: " إن العدد الهائل من الأنوار الحية يعني هذا: أن أعداداً لا حصر لها من الأرواح السماوية تتوهج بالحياة المباركة وتظهر في روعة عظيمة؛ لأنه عندما خلقها الله، لم تتكبر بفخر، بل ظلت ثابتة في الحب الإلهي. لقد تلقوا إشعاعًا ناريًا وسطوعًا بهيجًا. ولكن عندما حاول لوسيفر وأتباعه التمرد ضد الخالق الأعظم، لبسوا يقظة المحبة الإلهية، ولكنهم أصيبوا بالجهل الأعمى. ومن خلال سقوط الشيطان، أُعطي أعلى الثناء لتلك العقول الإنجليزية التي ثابرت في الاستقامة أمام الله، لأنهم رأوا بوضوح في التنوير أن الله يبقى دائمًا غير قابل للتغيير في قوته، ولا يمكن معارضته منتصراً من قبل أي شخص".[4]

---

[1] أبو الوفا التفتازاني: **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1979م، ص126.

[2] James Ginther : **Hildegard of Bingen's Theology**, PP.89-90.

[3] HILDEGARD VON BINGEN**: DER WEG DER WELT,** ÜBERSETZT VON, DR. MARIA-LOUISE LASCAR, VERLAG VON R.OLDENBOURG, BERLIN, 1929, P.10.

[4] **Loc.cit** .

لقد اتفقت هيلديجارد هنا مع القديس أوغسطين (354م – 430م) السابق عليها، الذي أكد أن الله هو مصدر النور الذي يجعل الحقائق العقلية مبصره للعقل، وأن الله بالنسبة لعقلنا كالشمس بالنسبة لبصرنا، وكما أن الشمس هي مصدر النور كذلك الله هو مصدر الحقيقة.[1] وقد عبر القديس أوغسطين عن ذلك في أولى رؤاه الصوفية عندما ذكر أنه أبصر نوراً لا كالنور الطبيعي الذي يراه كل إنسان، ولا نوراً من نوعه، إنما هو نور يفوقه شدة وبريقاً من حيث ينير بقوة أشعته كل شيء كما لم يكن النور الذي أبصرته حتى من ذلك النوع، بل من طبيعة تختلف عنه تمام الاختلاف؛ إنه نور ليس كمثله شيء.[2] وبالتالي فإن الحقائق الموجودة في النفس هي فيض من النور الأول وهو الله أو بتعبير آخر اللوغوس أو الكلمة، وهي تؤكد وجود شيء هو المحدث لها.[3]

أكدت هيلديجارد أيضاً ما قاله أبو حامد الغزالي (1058م- 1111م) في القرن الخامس في الفصل الأول من كتابه "مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار" في بيان أن النور الحق هو الله تعالى وأن اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له، وبيانه بأن تعرف معنى النور بالوضع الأول عند العوام، ثم بالوضع الثاني عند الخواص، ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص، فعند العوام يشير النور إلى الظهور، والنور عبارة عن ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس، وها هو النور المحسوس.[4] ولما كان سر النور وروحه هو الظهور للإدراك، وكان الإدراك موقوفاً على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً؛ لذا فإن الروح الباصرة مساوية للنور أو أنها تسمى بالنور وهذا مبلغ فهم الخواص. أما خواص الخواص يرون بأن العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدرة عن النقائض، فإن قلت ترى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاماً، واعتقادات يظنون أحكامها أحكام العقل؛ فالغلط منسوب إليها، فأما العقل لو تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط؛ بل يرى الأشياء على ما هي عليه، وفي تجريده عسر عظيم.[5]

إن تجربة هذه الرؤى لدى هيلديجارد، وخاصة تلك المنفصلة التي أضاءها النور الحي مباشرة، تطلبت من هيلديجارد تصرفًا محددًا وهو التواضع؛ ذلك لأن فضيلة التواضع كان بالنسبة لها اعترافًا بالواقع الوجودي للإنسان. فالإنسان موجود في الوسط بمعنى أنه كان سماويًا بسبب الروح " النفس" وأرضيًا بسبب الجسد. ولكن موقف الوسط أصبح معرضًا للخطر بسبب فعل الخطيئة، وبالتالي فإن الرغبة البشرية، التي من الطبيعي أن تسعى إلى الله، أصبحت مضطربة (confusa). ولكن حتى في حالة الخطيئة، فإن وضع الإنسان في الوسط يظل صحيحًا؛ لأن البشرية عجيبة ومؤسفة في أنها عرضة للخطيئة ومع ذلك فإن "الله يجعلها سماوية بمعجزاته.[6]

---

[1] عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة**، الجزء الأول، من (أ-س)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م، ص ص 250-251، " مادة القديس أوغسطين".

[2] جاريث ب. ماثيوز: **أوغسطين**، ترجمة فؤاد زهري، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2013، ص ص 29-30.

[3] عبد الرحمن بدوي: **فلسفة العصور الوسطى**، دار القلم، بيروت، ط3، 1979م، ص ص 25-26.

[4] الامام الغزالي: **مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار**، شرح ودراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986م، ص ص 119- 121.

[5] **المرجع نفسه**، ص ص 122، 127.

[6] James Ginther : **Hildegard of Bingen's Theology,** P.90.

اعتقدت هيلديجارد أنها يجب أن تشمل كلا الجانبين من الإنسانية حتى تكون متقبلة لعطايا الله، وإن التواضع لا بد أن يكون نقطة البداية. فمن المؤكد أن التواضع كان مجازًا شائعًا في الفكر والممارسة الدينية في العصور الوسطى، إلا أنه كان له تأثير خاص على تجربة **هيلديجارد بثلاثة طرق:**

أولاً: كانت هناك حقيقة مفادها أن جنسها وضعها في وضع حقير " مزدرى" في ثقافة العصور الوسطى. كانت تتمتع بمكانة ضئيلة من حيث السلطة، بالرغم من حقيقة أنها ولدت في عائلة نبيلة. فكونك أنثى في القرن الثاني عشر يعني اعتبارك بعيدًا كل البعد عن الإنسان المثالي، حيث كانوا يعتبرون النساء غير عقلانيات وأكثر عرضة للسلوك الفاسد من الرجال. لم تقاوم هيلديجارد هذا التصور، بل إنها تقبلت إلى حد ما كراهية النساء باعتبارها وصفًا مناسبًا لجنسها. ومع ذلك، فقد ارتدت هذه الكراهية وكأنها وسام شرف؛ لأنها استخدمت جنسها كوسيلة إيجابية لتأطير لاهوتها في كتاباتها.

ثانياً: لقد ربطت هيلديجارد آلامها ومعاناتها الجسدية على نحو مباشر بالتواضع. ففي ذهنها، كان التواضع أداة يستخدمها الله لتذكيرها بما هي عليه حقًا: كان ألمها بمثابة تذكير دائم بنقائصها. وكانت روحها المتجسدة عاجزة عن إدراك معنى رؤياها بالكامل بسبب ضعف جسدها.

ثالثاً: كان التواضع كقيمة وممارسة راسخًا في الثقافة البيندكتية. فقد خصص بنديكت نورسيا Benedict of Nursia* الفصل السابع من حكمه لفضيلة التواضع، التي وصفها بأنها اثنتا عشرة درجة من السلم تسمح للروح بالارتقاء " بالتمجيد أو التفخيم". وكل هذه الدرجات لها صدى في كتابات هيلديجارد إما في وصفها للتواضع نفسه أو كفضائل ذات صلة.[1]

لقد أكد القديس أوغسطين أيضاً على فضيلة التواضع، ففي سيرته الذاتية الروحية "الاعترافات"، تأمل مرارًا في لحظات ألمه وحزنه الأعظم عندما اعتمد على نفسه، ولحظات راحته وفرحه الأعظم عندما اختبر نعمة الله المُذلة في حياته. ورأى أن بلوغ الحياة المثالية يتحقق عندما يمارس المرء التواضع كأسمى أشكال تطوير الذات. فبدلًا من الارتقاء إلى حياة مثالية بالقوة والمعرفة والأخلاق، يعيش المرء حياة مثالية بالسقوط أمام المسيح، الشخص المثالي الحقيقي، الذي أذل نفسه في موته على الصليب.[2]

---

* **بندكيت نورسيا** : (480م-547م) وُلد في نورسيا عام ٤٨٠؛ وتوفي في مونتي كاسينو عام ٥٤٣، هو مؤسس الرهبنة الغربية، وهو يُعد أباً للرهبنة الغربية، ومن خلال الرهبنة حافظ القديس بنديكت على الكثير مما كان قيماً في العالم الكلاسيكي، كما ساعد على إنشاء حضارة جديدة هي المسيحية الغربية من خلال دمج هذا الإرث الكلاسيكي مع الكاثوليكية والثقافة الألمانية، ويستمر تأثيره اليوم على نحو مباشر من خلال الرهبنة البينديكتينية التي ترتكز على قانونه الشهير أو قاعدة القديس بنديكت. السيرة الحقيقية الوحيدة لبندكت النورسي هي تلك الواردة في الكتاب الثاني من "حوارات" القديس غريغوريوس، وهي بالأحرى رسم تخطيطي للشخصية أكثر من كونها سيرة ذاتية. (see: **Encyclopedia of Catholic social thought, social science and social policy, volume There, Edited by Michael L,Coulter….(et al), Published by Scarecrow, United States of America, 2012, P.24, "art: Benedict of Nursia,st", and see also: The catholic Encyclopedia, volume Two, Edited by CHARLES G.HERBERMANN, The Encyclopedia Press, New York, 1913, P.467,"art: Benedict of Nursia").**

[1] James Ginther **: Hildegard of Bingen's Theology,** PP. 90-91

[2] https://ca.thegospelcoalition.org/article/augustine-on-humility/ تاريخ الدخول 2024/10/12م.

لقد اتفقت هيلديجارد في تأكيدها على فضيلة التواضع أيضاً مع المتصوفة الإسلامية رابعة العدوية (713 م-801 م) السابقة عليها ، التي كانت تؤكد على فضيلة التواضع، ومن بين أقوالها التي تحثنا على التواضع " ما ظهر من أعمالي فلا أعده شيئاً". وروى الجاحظ في "البيان والتبيين" أنه قيل لرابعة: " هل عملت عملاً قط ترين أنه يقبل منك؟ فقالت: إن كان شيء فخوفي من أن يرد على".[1]

بدأت هيلديجارد بتصوف الطبيعة وخضرتها الخصبة، ولم تتوقف عند هذا الحد. بل انخرطت أكثر في تصوف الصوت، وخاصة من خلال الموسيقى الليتورجية التي ترفع الروح في اتحاد صوفي مع الله وترابط أعمق داخل المجتمع. وكما هي الحال مع الموسيقى المتنافرة، فإنها تميز بين التناقضات عندما تكون العلاقات بين الله والإنسانية والكون مجزأة.[2]

المبحث الثالث: التصوف والطبيعة:

تمثل الطبيعة بالنسبة للمتصوفة تجلي من تجليات الجمال الإلهي؛ لذا عرضت هيلديجارد علاقة التصوف بالطبيعة، وكانت نظرتها دقيقة وغير ثنائية في تصوراتها. حيث كان لديها بيئة "إيكولوجية إلهية أندرو كونية " للحياة تعني الحوار بين الله والبشر والكون. فكما كانت تهيأ عقلها ليشكل رؤيتها، طورت فكرة " الخضرة viriditas "" إلى روحانية قوية وغرس في" الصلاة والعمل" الرهباني حيوية من البداية إلى النهاية. وقد استوحت المفهوم من تأملاتها في الكتاب المقدس وكتابات آباء الكنيسة. ومن الصعب جدًا ترجمته إلى الإنجليزية، فقد يكون له عدة فروق دقيقة، مثل الخضرة، والقوة العلاجية، والحيوية، والدفع التدريجي، وإثمار العفة العزباء، والتطور، والخلق الجديد، والنضارة والرغبة في المزيد في خدمة الله. وعلى ما يبدو أن الصوفية قد توغلت في أعماق الخضرة وفقًا لإلمامها بالمعاني الأربعة للكتاب المقدس: الحرفي، والمجازي، والأخلاقي، والصوفي. فإذا أخذناه حرفيًا، لا يمكن اختزال الخضرة في علم البيئة الخضراء، ولا هي مصطلح من العصور الوسطى، ولكنها تدل على الخصوبة والنمو في الحياة الروحية. بالإضافة وصف هيلديجارد الخضرة الخضراء بأنها نمو في الحياة الرهبانية.[3]

لقد استخدمت هيلديجارد الكلمة اللاتينية viriditas، والتي تعني حرفيًا "الخضرة" وتعني رمزيًا النمو أو مبدأ الحياة؛ لأنها رأت أن الحياة انتقلت من الله إلى النباتات والحيوانات والأحجار الكريمة. وأكل الناس

---

[1] أبو الوفا التفتازاني: **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، ص85.

[2] https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary تاريخ الدخول2024/4/16م.

[3] https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary. تاريخ الدخول2024/4/16م.

بدورهم النباتات والحيوانات واكتسبوا بعض الأحجار الكريمة، وبالتالي حصلوا على viriditas. ثم أعطى الناس viriditas من خلال الفضائل، ومن هنا جاءت أهميتها في سلسلة الوجود.[1]

ربطت هيلديجارد بين قوة الكون الأكبر "الله" والكون الأصغر " الإنسان".[2] واقترحت نموذجاً للكون يشبه البيضة. وكتبت عن الكون الأصغر والكون الأكبر كوسيلة لتوضيح الترابط الروحي والجسدي بين الإنسان وخالق الكون. وبالتالي فهي تحاول أن توضح لنا من خلال ذلك أن أسهل طريقة لتحقيق الترابط تأتي من خلال علاقتنا بالطبيعة.[3]

يجب الإشارة هنا إلى تعبيرات إخوان الصفا الذين رأوا أن العلاقة بين النفس والبدن تتم في العالم الأصغر Microcosm، والعلاقة بين الله والعالم تتم في العالم الأكبر Macrocosm .[4]

رأت هيلديجارد أن الخضرة تجلب الشفاء والتجديد ليس فقط في النباتات ولكن أيضًا في الإنسان. وعندما يُمنع خلق وتدفق الماء الأخضر، يصبح الشخص مثل شجرة بلا ماء، فتصبح قاحلة و جدباء " جافة".[5]

اتفقت هيلديجارد هنا أيضاً مع ما جاء في سفر التكوين بأن كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان إنساناً ليعمل الأرض.[6] فالبشر أول خلق للإصبع الأخضر لله. وتأتي طاقة حياتنا الخضراء من الله. ومع ذلك، بعد انقطاع العلاقة الإلهية البشرية بسبب السقوط، تدخل البشرية حالة من الجفاف. ثم يُعَاد خلقها في المسيح من خلال الماء الأخضر لدم المخلص على الصليب وقوة الروح القدس الخضراء في المعمودية.[7]

تعود هيلديجارد هنا إلى تفسيرات القديس أوغسطين والقديس غريغوريوس الكبير*. على سبيل المثال، يساوي أوغسطين بين خضرة العشب والخطيئة. وبشكل أكثر تحديداً، في تعليقه الذي يُستشهد به كثيرًا على

---

[1] Hildegard: **Healing Plants**, Translated by BruceW. Hozeski, P.xv.

[2] https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary. تاريخ الدخول2024/4/16م.

[3] https://www.healthyhildegard.com/hildegard-von-bingen/ تاريخ الدخول 202/4/16م.

[4] حسن حنفي: **حصار الزمن: الماضي والمستقل (علوم)**، ج3، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2023م، ص50.

[5] https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary تاريخ الدخول2024/4/16م .

[6] **سفر التكوين:** (5:2).

[7] https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary.

تاريخ الدخول2024/4/16م.

* **غوريغوريوس الكبير**: (540م-604م) Gregory the Great، وقد أصبح بطريركًا في روما من يوم 2 سبتمبر 590 حتى وفاته. وقد اشتهر بكتاباته، والتي فاقت سابقيه كبابا روماني. ويُطلق عليه أيضًا جريجوري المحاور (غريغوريوس دايالوجوس)،

المزمور 91: 8، يرسم تشابهًا بين اللذة الدنيوية المتأصلة في الخطيئة، والجمال الزائل للعشب الذي يذبل بسرعة في حرارة الصيف. وفي تعليقه على المزمور 128: 6، يوضح المشكلة باستخدام الأعشاب التي تنمو على أسطح المنازل تكون جذورها ضحلة؛ وبالتالي يمكن اقتلاعها بسهولة، وإلقائها في النار؛ ويقول إن هذا يحدث؛ لأنها تفتقر إلى النسغ اللازم لأي نمو أخضر. وغريغوريوس في الكتاب الحادي عشر من كتاب الأخلاقيات الذي جعل القش رمزًا للجفاف في تفسيره الأخلاقي لسفر أيوب 13: 25، الذي رأى فيه أن السعي وراء القش اليابس يمثل السعي وراء الإغراء الذي يثيره الغضب والشهوة والجشع والكبرياء. وكأن الرذيلة قد أفرغت فضيلتهم، ولهذا السبب، كما يقول، يُطلق على البشر اسم القش بحق. "كانوا عند خلقهم شجرة؛ وفي الإغراء أصبحوا أوراقًا لأنفسهم؛ وبعد ذلك بدوا مثل القش في المنفى... ولكن لأنهم فقدوا النضارة الخضراء [viriditas] للحب الداخلي أصبحوا الآن قشًا يابسًا". تقديم الخضرة هنا كتعبير عن الحب الروحي يُظهر أنها أكثر من مجرد معجزة من معجزات الطبيعة. من الواضح أنها معقولة في علم الأحياء النباتية، ولكنها أيضًا لها آثار أخلاقية عميقة. إن مقارنة هذه الآثار المترتبة على الخضرة بجفاف الخطيئة يزيد من حدة الصراع بين الفضيلة والرذيلة، كما قد يفعل المرء عند الوعظ.[1]

فالخطيئة تسبب الجفاف أو الابتعاد عن الله " آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ" (إش 59: 2).[2] ولكن رطوبة دموع التوبة والتحول تحوّل الجفاف إلى خضرة، وبهذه الطريقة تساعد الخاطئ المصلح على أن يعيش حياة فاضلة" بالبكاء يأتون وبالتضرعات أقودهم أسيرهم إلى أنهار ماء في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها لأني صرت لإسرائيل أبا وأفرايم هو بكر". (إر31: 9).[3] يصالح يسوع المسيح الإنسان مع أبيه ""فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ إِنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا". (1 يو 4: 10)،[4] ويجدده الروح القدس " "لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى

وذلك بسبب حواراته العديدة. كان يلقب نفسه ب" خادم خدم الله". وعلى الرغم من أنه لم يكن لاهوتياً نظرياً ولا فيلسوفاً مثل أوغسطين، ولا من الكتاب المبدعين المجيدين مثل إيرونيموس الذي امتاز بأسلوبه الممتع، إلا أنه وفق كثيراً بتوجيه عنايته إلى نشر الإنجيل في أوربا، وإعادة المذهب الكاثوليكي إلى أسبانياالأريوسيه، وإلى إنجلترا وأفريقيا أيضاً، وإخضاع الأساقفه اللومبارد إلى سلطة البابوية. وقد كُرِّم في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، ومجتمع الأنجليكان وبعض الكنائس اللوثرية، وقد أُعْتُرِف به كقديس فور وفاته. **(انظر:إلياس سعد غالي: غوريغوريوس الكبير(535- 604) في محاوراته، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1987م، ص12،**
وانظر أيضاً https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_2091.html **تاريخ الدخول2024/10/12م).**

[1] Peter V. Loewen: **From the Roots to the Branches: Greennessin the Preaching of Hildegard of Bingenand the Patriarchs,** In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, Cambridge University Press, United Kingdom, 2021. PP.132-133.

[2] **إشعياء:** (59: 2).
[3] **إرميا:** (31: 9).
[4] **(1 يوحنا** 4: 10).

رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا." (تي 3: 5-6)[1] ويشجعه على بذل قصارى جهده ليعيش حياة مقدسة بعد التحول.[2]

وضعت هيلديجارد صراعات رجال الدين في القيادة ، وخراب الكنيسة بسبب فساد رجال الدين، والضعف العام للإيمان المسيحي في إطار مجازي باعتبارها صراعًا بين الخصوبة والجفاف الروحي. وفي رسالتها إلى رئيس ورجال الدين في كاتدرائية القديس بطرس في ترير (223ر)، ردت هيلديجارد على طلب الحصول على نسخة من العظة التي ألقتها هناك في عيد العنصرة عام 1160م. وحذرت قراءها من أن "النور الصوفي للرؤية الحقيقية" لديه سبب لتوبيخهم على فسادهم. وفسرت ضعف إيمانهم بأنه افتقار إلى الخضرة. فالروح القدس ليست فيهم؛ وذلك لأنهم "ليس لديهم خضرة وهم جافون وذابلون".[3]

قدمت هيلديجارد نصائح تفصيلية لمختلف الطوائف داخل الكنيسة حول الكيفية التي ينبغي لهم أن يعيشوا بها حياتهم. فبدلاً من أن تخص حواء باعتبارها مغرية آدم، فإنها ترى أن الشيطان قد أوقع حواء، أم الخليقة. ورأت أن الكنيسة باعتبارها العروس المستيقظة، أم المؤمنين، مقدر لها أن تتحد مع المسيح بشكل صوفي. وقد أكدت ذلك في الجزء الثالث من كتاب "المعرفة Scivias "، حيث كانت تروي قصة ارتقاء الكنيسة من خلال الفضائل، والتي يستطيع المسيحيون أن يستعينوا بها للحصول على الدعم في جهودهم.[4]

تستدل هيلديجارد في مقدمة دراماها اللاتينية، Ordo virtutum (ترتيب الفضائل)، من إشعياء 60:8 لتصوير الآباء والأنبياء في حالة من الدهشة وهم يحدقون في الفضائل الأنثوية. "من هم هؤلاء الذين يأتون كالسحاب؟" ، حيث تجيب الفضائل بأنهم يتألقون مع الإنسان و"يبنون أعضاء جسده المجيد". ثم تجعل هيلديجارد الآباء والأنبياء يستخدمون لغة الطبيعة لشرح علاقتهم: "نحن الجذور وأنتم الفروع، ثمرة البرعم الحي [العين]، وكنا ظله". [5]

لقد حملت هيلديجارد، مثل فضائل نظامها، عباءة البطاركة، وخاصة غريغوريوس الكبير، فشرحت الخضرة بشكل أكثر وضوحًا، وبكميات كبيرة، لتبشر بالخضرة التي تربط المعنى الروحي للكتاب المقدس

---

[1] (**تيطس** 3: 5-6).

[2] https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary.

تاريخ الدخول2024/4/16م.

[3] Peter V. Loewen: **From the Roots to the Branches: Greennessin the Preaching of Hildegard of Bingenand the Patriarchs,** In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, PP.128-129.

[4] **Encyclopedia of Medieval Philosophy , Philosophy Between 500 and 1500**, Editor – in - Chief Henrik Lagerlund , Publisher by Spring , Lonbon , 2011, P.477, " art: Hildegard of Bingen".

[5] Peter V. Loewen: **From the Roots to the Branches: Greennessin the Preaching of Hildegard of Bingen and the Patriarchs,** In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, P.141.

بقوى الطبيعة. وإذا ما استخدمنا الاستعارة في نظامها، فقد نستطيع أن نقول إن البطاركة هم خضرة الجذور وهيلديجارد هي الأغصان. لقد بشروا بالخضرة؛ وعلى خطاهم، أضفت هيلديجارد الخضرة على العالم.[1]

المبحث الرابع: التصوف والخلق:

أ- طبيعة الخلق:

تقول هيلديجارد: " لقد خلق الله خليقته ونظمها بشكل عجيب، فالله القادر لا يوصف، هو أزلي أبدي لا ينقطع عن الوجود ، خلق المخلوقات كلها بإرادته، ووضع كلاً منها في مكانه بإرادته. فقدر لبعض المخلوقات أن تبقى على الأرض، والبعض الآخر يبقى في السماء، ووضع الملائكة في أماكنهم، وكلف البعض بمساعدة البشر، وكلف آخرين بإظهار أحكام أسراره للناس". [2] فكل ما خلقه الله موجوداً بالفعل في حضرة الله قبل بداية العالم، وقبل بداية الزمن.[3] فخلق الله للأشياء الطبيعية يُعطيها كرامةً. قبل السقوط، خُلقت الخليقة كلها كاملةً، وخُلقت من المحبة، وهي صفةٌ من صفات الله غالباً ما تُجسدها هيلديجارد. وكما يُخاطب الملك سليمان الحكمة كأنها شخص، عندما تكون من الله، كذلك تتحدث هيلديجارد عن المحبة: " كان الحب في الأزل، وأنتج، في بدء كل قداسة، المخلوقات كلها دون أي اختلاط بالشر".[4]

تعكس كتابات هيلديجارد عن الخلق ما جاء في سفر التكوين "ورأى الله كل ما صنعه فإذا هو حسن جداً".[5]

أقامت هيلديجارد تصوفها على العمل الإلهي، ورأت أن عمل الله هو أولاً وقبل كل شيء البشرية " الخليقة"، وكل ما يفعله الله، ويسنه، ويخلقه، هو في السعي لتحقيق هذا العمل الكامل. ولكنها أشارت إلى أن البشرية هي أيضًا "وكيل" الإله و"ظل أسراره". وأن الإنسان يعمل ويتصرف ويخلق على صورة الله؛ لأن عمله وعملهم هو نشاط ديناميكي وليس حالة ثابتة تنبع هذه الأنثروبولوجيا ، وذلك لعدة أسباب وهي:

أولاً: إن ما يعنيه أن نكون على صورة الله ومثاله.

ثانياً: من التوقف عن الخلق في اليوم السابع. إن التشابه بين الله والإنسان هو في العقلانية التي تحفز نشاطه الخلاق، وهي السبب الذي من أجله يخلق بكلمته. وبالتالي فهو أيضًا الأساس والدافع للنشاط البشري؛ لأن الله "

---

[1] **Ibid**, P.142.

[2] **Hildegard of Bingen: SCIViAS**, TRANSLATED BY MOTHER COLUMBA HART AND JANE BISHOP , Book One, Vision Six, The Choirs of Angels, PP.139-140.

[3] Gabriele Uhlein: **Meditations with Hildegard of Bingen,** Copyright by Bear, United States, 1983, P.23.

[4] https://sciencenetwork.uk/think/hildegard-of-bingen تاريخ الدخول2024/10/12م.

[5] سفر التكوين 1: 31.

جعل الإنسان قادرًا على التفكير، ليجمع كل أعماله في قلبه أولاً قبل أن يقوم بعملها؛ لأنه مأوى عجائب الله، وأن النفس لا تستطيع أن تدرك قوى الخلق إلا بالعقلانية الكاملة في الكلمة.[1]

تقول هيلديجارد: " إن الذي ينقلنا إلى هذا النشاط الفكري الخلاق هو الجسد كموضوع للتأمل، فهو يمثل صورة الله، "رداء" التجسد - اللحظة الفريدة والمقدرة للأبد، والتي يتركز حولها نظام عمل الله بأكمله. وعندما استراح الله في اليوم السابع من الخلق؛ كان ذلك لأن إمكانية الفعل قد انتقلت من الله إلى عمله، من خلق الكلمة إلى الكلمة المتجسدة: "كما استراح الله في اليوم السابع من كل عمله، ثم خلق الإنسان ليعمل في الخليقة كلها". "فإن الله أخذ على عاتقه العمل. هكذا أيضاً في بطن العذراء جعل ابنه يرتاح، وأسلم إليه كل أعماله". إن البشرية تمتلك هذه الإمكانية باعتبارها العمل الكامل لله، إلهيًا بالنفس وترابيًا بالأرض"؛ لأن الله رأى وعلم مسبقًا منذ الأزل أن العقلانية الإلهية للكلمة سوف تتحد مع الرداء الأرضي للجسد البشري. لقد قدر الله عمله ثم أوجده؛ وهكذا فإن دعوة الإنسان هي أولاً تمييز عمل الله في الخلق، ثم القيام بأعمال صالحة باستخدامه وفي داخله. فالإنسان عندما يخطط لهذه الأعمال ثم يقوم بها، "يحقق المهمة الموكلة إليه على غرار الخالق، وهذا يمنحه الخلاص، وعودة الذات البشرية والخليقة كلها التي تحتويها إلى الله.[2]

يبدو هذا مخالفًا لقيم هيلديجارد التي تحدثت كثيرًا عن الحاجة إلى الحد من تأثير الجسد في حياة الشخص وإيجاد طرق للسيطرة على الرغبة الجسدية أو القضاء عليها. كما أنها غالبًا ما تتحدث عن الروح وكأنها كيان منفصل تمامًا يجب أن يخوض معركة للحفاظ على السيطرة على الجسد. ولكن هذا لا يعني أن الجسد شيء يجب رفضه. فالجسد خير، فعلى الرغم من تشويهه بالخطيئة، إلا أنه مرتبط ارتباط وثيق بخير الخليقة كلها؛ وبالتالي، فإن الإنسان هو عالم مصغر للخليقة كلها، مرتبط ارتباطًا وثيقًا جسديًا وروحيًا. فالإنسان لا يمتلك جسدًا عن طريق الصدفة، ولا كعقاب، بل كوسيلة للعودة إلى الله ويكشف الكتاب المقدس عن صلاح تلك الخليقة والدور الرئيسي للإنسانية. وأخيرًا، فإن الشخص المتجسد هو الوسيلة الأساسية التي يتم بها إكمال الكنيسة (المكونة من البشرية التي افتداها المسيح والملائكة) في التاريخ ثم إلى الأبدية.[3]

لذا عرضت هيلديجارد في كتابها الأعمال الإلهية للعالم الطبيعي، وعلاقة الإنسان بالكون والعالم الأكبر " الله"، ولديها شخصية نهاية العالم تعلن عن رؤيتها الديناميكية المتميزة لقوة الحياة، ذات الأصل الإلهي، التي تدعم الخلق:[4]

---

[1] ST. HILDEGARD OF BINGEN**: THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, THE CATHOLIC UNIVERSITY OF AMERICA PRESS, Washington, D.C., 2018, PP.7-8.

[2] **Ibid,** PP.8-9.

[3] James Ginther : **Hildegard of Bingen's Theology,** P.102.

[4] **Encyclopedia of Medieval Philosophy , Philosophy Between 500 and 1500**, Editor – in - Chief Henrik Lagerlund , 2011, P.477, " art: Hildegard of Bingen".

"أنا الحياة العليا والنارية، التي تشعل كل الشرارات الحية، ولم تتنفس شيئًا ميتًا، وأنا أحكم على الأشياء كلها كما هي؛ لأن الهواء يعيش في الخضرة والزهور، والمياه تتدفق وكأنها حية، والشمس تعيش أيضًا في نورها".[1]

من خلال هذه الكتابة الشعرية الغنية، تنأى هيلديجارد بنفسها عن التصنيفات الفلسفية التقليدية حول الوجود الإلهي، وتؤكد بدلاً من ذلك على القوة الإلهية التي تدعم العالم المخلوق. ويتلخص موضوعها الثابت في أن الجسد والروح كلاهما في حاجة إلى الآخر من أجل البقاء، وأن الخلل في هذه العلاقة يزعزع النظام الكامل للخلق.[2]

رأت هيلديجارد أن كل ما يوجد في الكون من تطابقات معقدة يبدو لنا أنها عديمة الأهمية ومنفصلة تشكل أهمية أساسية عند فهمها وإدراكها باعتبارها أجزاء من الكل. فالترتيب المثالي لكل ما هو موجود، والذي سبق أن علم الله به في أشكاله قبل أن يبدأ الخلق، يمتد من أقصى أطراف الأجرام السماوية إلى أصغر الكائنات الحية ـ وكل هذا منظم نيابة عن البشر؛ وبالتالي داخلهم تحديداً؛ لأن صورة الإنسان كان من المفترض أن تحتوي ذات يوم على الألوهية.[3]

ينبغي على الإنسان أن يتأمل في الله... ويتعرف على عجائب الله وعلاماته. لتكن هذه الآيات والعجائب هي السماء التي نبني عليها، حتى لا تهتز من الخوف، أو تبتعد عن محبة الله.[4]

ب- نظرية الفيض " الصدور" الإلهي:

لقد أخذت هيلديجارد الفيض " الانبثاق أو الصدور" عن الله والعودة إليه عن الأفلاطونية المحدثة " أفلوطين" [5]، الذي رأى أن أول ما ينبثق عن المبدأ الأول أو الواحد هو العقل الإلهي، والعلة في ذلك " أن كل ما استكمل وجوده فلا بد أن يولد، والكامل أزلاً لا بد أن يولد كائناً أزلياً، وهكذا ينبثق هذا العقل عن الموجود الأول ليكون صورة له، وامتداداً لوجوده، شبيهاً بنور الشمس الذي يعكس حقيقة وجودها. وعن العقل الإلهي تصدر النفس الذي هي مصدر الحياة والحركة في الكون، التي تلاصق في جانبها الأعلى العقل الكلي وتشاركه في طبيعته. وعندما نتجاوز العالم العقلي الخالي من الحركة والتعدد نبلغ عالم النفس التي تتصف بالحركة إلى أعلى وإلى أسفل. وعن حركة النفس السفلى ينبثق عالم الطبيعة، الذي يبدأ بالنبات المتصف بالحياة فقط، ثم

---

[1] ST. HILDEGARD OF BINGEN**: THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, PART ONE, V ISION ONE, Theophany of Divine Love, P.34.

[2] **Encyclopedia of Medieval Philosophy , Philosophy Between 500 and 1500**, Editor – in - Chief Henrik Lagerlund , 2011, P.477, " art: Hildegard of Bingen".

[3] ST. HILDEGARD OF BINGEN: **THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, P.11.

[4] Gabriele Uhlein: **Meditations with Hildegard of Bingen,** P. 46.

[5] James Ginther : **Hildegard of Bingen's Theology,** P.101.

يرقى إلى الحيوان المتصف بالحس أيضاً، فالإنسان المتصف علاوة على ذلك بالنطق. وهذه هي التجليات الثلاثة للنفس، أي الحياة فالإحساس فالنطق، عندما تهبط من العالم العقلي وتنحدر نحو عالم المادة.[1]

لقد سيطرت نظرية الفيض على كل تفكيرها، حيث كانت تربط باستمرار بين أعلى وأكثر أنظمة الواقع اللاهوتي تجريدا مع أكثر الأشياء والصور الملموسة للوجود؛ وبالتالي يجب أن نفكر في العلاقة بين العالم الأكبر والعالم الأصغر. فهي ليست مجرد قصة رمزية تشرح بها هيلديجارد، على سبيل المثال، تفاعلات الرياح الاثنتي عشرة كشبكة من الفضائل والدوافع الأخلاقية بل بالأحرى، باعتبارها طاقات تتدفق من الخالق الإلهي، فالفضائل هي الرفيق الروحي للرياح المادية، التي تحملها روح الشخص معا مع الرياح التي تحرك وتؤثر في الأخلاط . إنها قوى خارجية ومرئية تتوافق مع القوى الداخلية والروحية، ويوصف نشاط كل منهما بأنه "تنفس" أو "زفير" (exspiratio). وعلى نحو مماثل، فإن التطابقات بين العالم المادي، والجسد البشري، والنفس الإنسانية ليست مجرد تقابل مصطنع بين ثلاث حقائق مختلفة، بل هي بالأحرى التفسير الطبيعي لعالم تتحد عناصره الكونية والبشرية والروحية وجوديًا في علاقتها بالخالق - حتى لو كانت جميع مستويات هذه العناصر قد دخلت في صراع بسبب اضطرابات الخطيئة.[2]

استخدمت هيلديجارد فكرة العالم الأكبر والعالم الأصغر كحجة مضادة وقوية ضد الحركة الهرطوقية* المنتشرة في القرن الثاني عشر. وكان الكاثاريون Cathars** يميلون إلى الثنائية المطلقة، فأحيوا الأسطورة

---

[1] ماجد فخري: **تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس (585ق م) غلى أفلوطين (270م) وبرُقلس (485م)**، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م، ص ص 194- 195.

[2] ST. HILDEGARD OF BINGEN: **THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, PP.11-12.

* **الحركة الهرطوقية:** هي حركة يمثلها عدد من الطوائف التي شككت في التعاليم الكنسية وسعت إلى ترسيخ تفسيرها الخاص للمسيحية أو، كما في حالة البيلكانيين والبوغوميليين والكاثاريين، التأسيس لمذهب ديني جديد يبني على فرضيات المانوية الفارسية والغنوصية اليونانية والمسيحية. وقد أدانت الكنيسة الكاثوليكية القروسطية جميع هذه الطوائف ورمتها بالتجديف والبِدَعْة والضلال الموصل للكفر والخروج من الملة وسحقتها دون رحمة. يمكن توضيح الطابع الخاص للحركة الهرطوقية في القرن الثاني عشر من خلال رسالتين من العقود الوسطى من القرن. في إحداهما، قدم رئيس الدير إيفرفين من شتاينفيلد تقريرًا إلى برنارد كليرفو عن الهراطقة الذين أُسْتُجْوِبُوا في كولونيا عام 1143. في الرسالة الثانية، يُبلغ راهب يُدعى هيريبرت عن الهراطقة في منطقة بيريجو تحت قيادة رجل يُدعى بونسيوس، وهو غير معروف، ربما حوالي عام 1163. تُمثل هاتان الرسالتان تحسينًا على العديد من الوثائق الأخرى حول الهرطقة في القرن الثاني عشر لأنهما لا تُكرران الخيالات المعتادة للعقائد المانوية المستمدة من الجدل القديم ضد الهرطقة، بل تصفان الهراطقة على أساس معرفتهم الخاصة - في حالة هيريبرت الراهب، بمبالغة خرافية، ولكن في حالة رئيس الدير إيفرفين بانفتاح مدروس. **(see: James L. Halverson: Contesting Christendom Readings in Medieval Religion and Culture , ROWMAN & LITTLEFIELD PUBLISHERS, INC , New York, 2008, pp137-138. And see also https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1414/ تاريخ الدخول: 2024/4/16م).**

** **الكاثاريون**: من القرن الحادي عشر حتى الثالث عشر، مشتق من التعبير اليوناني عن "المتطهرين"، ويعرفون أيضاً باسم الألبيجينيين لارتباطهم بمدنية الألبي) هم طائفة في جنوب فرنسا، كانوا حركة جماهيرية رفضت العقيدة المسيحية وسلطة الكنيسة الكاثوليكية، وقد أثار هذا الأمر قلقاً بالنسبة للبابا ، وذلك لأن جزءاً كبيراً من منطقة جنوب فرنسا كان يتحول علناً إلى الكاثارية المعروفة باسم لانغدوك، وكانوا في حماية النبلاء المحليين، وبعض الأساقفة الذين استاءوا من السلطة البابوية. وانتشروا إلى أماكن أخرى بما في ذلك سكان البلدان والمدن. حاول البابا التحول السلمي معهم، وأرسل عددًا من المندوبين إلى المناطق المتضررة.

الغنوصية عن إله طيب يحارب خالق البشر، الطاغية الذي خلق العالم المادي والجسد كسجن للنفس. وقد وصفتهم هيلديجارد في عظتها العامة الشهيرة في كولونيا (بأن زهدهم المتدين، ونبذهم للثروات الدنيوية، وتصريحاتهم العنيفة بالعفة كانت موضع إعجاب من قِبَل الناس الذين اشمأزوا من إخفاق رجال الدين الأرثوذكس في الارتقاء إلى مستوى توقعات مماثلة. ولكن، كما تقول، فإن عفة الزنديق من صنع الشيطان بمهارة لخداعه؛ لأنها تنكر الحقيقة الأساسية المتمثلة في أن الله هو خالق العالم المادي والروحي، متحدًا في مشورته الأبدية ومُقدَّر للتجسد. تبدأ عظة كولونيا بإعلان شعري قوي عن الترابط المتبادل بين العالمين الأكبر والأصغر في الدفاع عن صلاح الخليقة. وعلى نحو مماثل، تستعرض عظة عام 1171 ضد الكاثار تاريخ الخلاص المخلوق وتركزمن بين أمور أخرى، على الطبيعة الموحدة بشكل صحيح للنفس والجسد: "تنتشر الروح في جميع أنحاء الجسم، ومن خلال العقلانية تخدم الجسد، وتخدم شهيته وتغذيته. وهكذا فإن الإنسان هو خلاصة الخليقة كلها، التي يعرفها ويعترف بها من خلال العقلانية ... ".[1]

تقول هيلديجارد: " لما كانت العقلانية الإلهية تحتوي على الدافع إلى الإبداع، فإن العقلانية البشرية باعتبارها مشابهة لله تكون موجهة نحو العمل داخل هذا الخلق. ولكن العمل الكامل لله ليس هذا التشابه العقلاني وحده؛ لأن النفس الشرارة النارية أو البريق الناري والنفس الحية لتلك العقلانية تعمل من خلال الجسد الذي هو صورة الله المقدرة، رداء التجسد. إن النفس ـ "الصانعة" (artificiosa) مع بقية الخليقة ـ تتخلل الجسد لتعمل معه بالطريقة نفسها التي تغلغلت بها الكلمة في الأشياء كلها بخلقها، وتوفر عقلانيتها القوة التمييزية التي يحدد بها الشخص البشري ما ينبغي له أن يفعله. وللعقلانية شريك في عملية التمييز، هذه المعرفة (scientia)، التي لا تعني بالنسبة لهيلديجارد مجرد معلومات، بل القدرة على تصنيف المعلومات بالحكم الأخلاقي. إنها تتحدث في أغلب الأحيان عن معرفة الخير والشر (أول عمل من أعمال الخلق الأخلاقي في تفسير سفر التكوين (2.1.23)، والتي يحدد بها الشخص العقلاني ما ينبغي له أن يفعله وما لا ينبغي له أن يفعله، وما هو مفيد له في عالم الخلق الواسع وما هو عديم الفائدة أو ضار. وفي هذا الصدد، غالبًا ما تعني كلمة scientia أيضًا "الضمير"، المرآة الداخلية للمعرفة الذاتية التي تميز الأعمال الصالحة عن الأعمال الشريرة. بالنسبة لهيلديجارد، فإن الضمير هو الأداة العلمية الأساسية.[2]

ولكنهم قاتلوهم، ولذا أعلن البابا حملة صليبية جهادًا، ضد لانغدوك، وعرض أرض الهراطقة على أي شخص يرغب في القتال. **(see: Mark J.T. Griffin: The cathar Prophecy,Published by Power of One Ltd, Great Britain, 2007, pp.7-8. And see: https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1414/ تاريخ الدخول: 2024/4/16م).**

[1] ST. HILDEGARD OF BINGEN: **THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, PP.12-13.

[2] **Ibid,** P,13.

المبحث الخامس: التصوف و الموسيقى:

تُعد الموسيقى واحدة من بين المجالات العديدة التي تميزت فيها هيلديجارد بالإبداع، حيث تمثل مؤلفاتها الموسيقية الأكثر شهرة اليوم؛ وذلك بسبب التسجيلات الموسيقية الناجحة العديدة والمتنوعة التي بدأت في التداول في أواخر القرن العشرين. فلقد أصبحت هيلديجارد الآن جزءًا ثابتًا من دورات تاريخ الموسيقى، ولديها أكبر إنتاج من الترانيم يمكن أن يُنسب إلى ملحن غربي من العصور الوسطى - ذكرًا كان أو أنثى -، ولا توجد ملحنة أخرى للموسيقى المقدسة أو الدنيوية من العصور الوسطى يمكن مقارنتها بها؛ إذ تمتلك هيلديجارد سبع وسبعين ترنيمة طقسية لاتينية ودراما طقسية كبيرة، وهي (ترتيب الفضائل).[1]

جمعت هيلديجارد أعمالها الموسيقية في دورة طقسية أطلقت عليها اسم Symphonia Harmoniae Caelestium Revelationum (سيمفونية تناغم الوحي السماوي). كانت واحدة من ملحنين اثنين من العصور الوسطى حاولا إكمال عمل بهذا الحجم الكبير. وكان الآخر هو بيتر أبيلارد*.[2]

كانت الموسيقى بالنسبة لهيلديجارد هي نقطة التقاء السماء والأرض،[3] فهي تمثل الانسجام السماوي، ونبضات قلب المحكمة السماوية وتسابيحها، لسان آدم قبل السقوط، والبنية الطقوسية للحياة اليومية، لذا احتجت بشدة على تمزيقها في دفاعها عن الموسيقى عندما وُضِع ديرها تحت الحظر في آخر عام من حياتها.[4] فالموسيقى من وجهة نظرها لها قيمة رمزية مهمة؛ لأنها تعيد خلق الانسجام الأصلي الذي كان موجودًا بين الله والبشرية في جنة عدن. فكل قلب بشري آلة رنانة ومستقبلة يمكن لله أن يستخرج منها نغمات جميلة كما لو كانت من قيثارة. ومن ناحية أخرى، الشيطان يحسد صدى البشرية مع الله ويسعى لسرقة هذا الانسجام. لقد عاش في مكان بلا موسيقى، ولم يكن لديه القدرة على الغناء، وكان يتحدث بصوت حاد.[5]

---

[1] jennifer bain: **Music, Liturgy, and Intertextuality in Hildegard of Bingen's Chant Repertory**, chapter 10, In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, P.209.

* **أبيلارد Abelard:** ولد في بليه قرب نانت (فرنسا) عام 1079، وتوفي في دير سان – مرسيل قرب شالون – سور- سون في 21 نيسان 1142. من أشهر فلاسفة العصر الوسيط الأوربي، تتلمذ على يد روسلان زعيم الاسميين وجيوم دي شامبو من اتباع المذهب الواقعي، وأنسلم معلمه للاهوت، درس على التوالي في شارتر، ولوش، وأخيراً في باريس. وما كان يجاوز الثالثة والعشرين من العمر عندما صارت له مدرسته الخاصة في ميلون، ثم في كورباي، وأخيراً في باريس. لقد كان أبيلارد موضع نقاش حماسي من قبل معاصريه، وكان له تأثير بليغ في فكر القرن الثاني عشر. له العديد من المؤلفات من بينها في التوحيد والتثليث الإلهي، واللاهوت المسيحي، والمنطق.....إلخ. **(انظر: روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، الجزء الأول، مراجعة وتقديم جورج نخل، شارل حلو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1992،3م، ص54، " مادة أبيلار بيار. وانظر أيضاً: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيون – المتصوفون)، ص ص 42- 43، " مادة أبيلار، بيتر").**

[2] Nancy Fierro: **Hildegard of Bingen and Her Vision of the Feminine,** P.23.

[3] https://www.healthyhildegard.com/hildegard-von-bingen/
تاريخ الدخول 2024/4/16م.

[4] ST. HILDEGARD OF BINGEN**: THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, P.9.

[5] Nancy Fierro: **Hildegard of Bingen and Her Vision of the Feminine,** P.23.

رأت هيلديجارد أنه مثلما وُلِد جسد يسوع المسيح من الروح القدس من كمال العذراء مريم، فكذلك ترنيمة التسبيح، بحسب الانسجام السماوي، ترسخت في الكنيسة من خلال الروح القدس. فالجسد هو ثوب الروح الذي له صوت حي، ولذلك فمن المناسب للجسد بشكل متناغم مع الروح [الموسيقى البشرية]، أن يستخدم صوته لغناء التسبيح لله.[1] فالموسيقى هي ثمرة اتحادها بالله ورؤيتها للحياة المسيحية.[2]

استشهدت هيلديجارد هنا بإنجيل يوحنا في الآية " فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. بِهِ تَكَوَّنَ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَتَكَوَّنْ أَيُّ شَيْءٍ مِمَّا تَكَوَّنَ".[3] وقول " إن الموسيقى تربط بين الكلمة والعمل، ومن تلك الكلمة ذاتها تعمل عقلانية الإنسان على تنفيذ أعمالها؛ ومن ذلك الصوت ذاته تنتج أعمالها في التحدث والصراخ والغناء - لأنه من خلال حدة مهارته في العمل مع الأشياء المخلوقة، يصنع الشخص موسيقى بآلات وترية وطبول، فالإنسان يشبه الله " الخالق"، فهو عاقل من خلال الروح الحية. هذا بالإضافة إلى أن هذه الموسيقى لها مهمة كنسية: "غناء العدالة في أذهان الناس من خلال صوت العقلانية، كما تعلن الكلمة ويرن الصوت".[4]

رأت هيلديجارد أن موسيقى القداس اليومي المنصوص عليها في قاعدة القديس بنديكت باعتبارها عمل الله، تعمل تقريبًا كسراً مقدساً، تتدفق فيه النعمة الإلهية من البلاط السماوي وسمفونيته إلى كنيسة مريم العذراء الخاصة بها، مضاءة بالحشد الملائكي. "لذلك فإنهم "على القيثارة " عزف قيثارا" يؤدون إلى الله، الذي يرتبطون به بهذه الطريقة، مديحًا لا تستطيع المعرفة البشرية تفسيره أبدًا".[5] فموسيقى القداس اليومي ليست إرضاء لله فقط، فهي ضرورية للخلاص، لذا فإن أولئك الذين يفرضون الصمت على الكنيسة دون سبب عادل ويمنعون غناء تسبيح الله، وأولئك الذين سلبوا الله شرفه ومجده على الأرض ظلماً سوف يفقدون مكانهم بين جوقة الملائكة، ما لم يصححوا حياتهم من خلال التوبة الحقيقية.[6]

هذا بالإضافة إلى اعتقاد هيلديجارد أن الانسجام هو أكثر من مجرد مزيج من الأصوات والآلات الموسيقية ، وأن الموسيقى تمثل التوازن بين الجسد والروح. وبالتالي فهي تربط الإنسان بالكون.[7]

---

[1] jennifer bain: **Music, Liturgy, and Intertextuality in Hildegard of Bingen's Chant Repertory**, P.222.

[2] HILDEGARD OF BINGEN: **Liber Vitae Meritorum,** translated by Bruce W. Hozeski, Oxford, P.xx.

[3] إنجيل يوحنا1: 1-3.

[4] ST. HILDEGARD OF BINGEN**: THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, PP.9-10.

[5] **Ibid,** P.10.

[6] jennifer bain: **Music, Liturgy, and Intertextuality in Hildegard of Bingen's Chant Repertory**, P.222.

[7] https://www.healthyhildegard.com/hildegard-von-bingen/

تاريخ الدخول 2024/4/16م.

لقد اتفقت هيلديجارد في تأكيدها على الجانب الصوفي في تقديرها للموسيقى مع القديس أوغسطين السابق عليها؛ الذي كان يؤمن بالمبادئ الفيثاغورية التي كانت ترد ظاهرة الموسيقى إلى علاقات عددية خاصة، وتحاول تفسيرها من خلال هذه العلاقات؛ وبالتالي رأى القديس أوغسطين أن الله قد خلق الكون بأن جمع العناصر كلها بالنسب الصحيحة بدقة، حتى يتم التوازن المنسجم، والتوافق بين كل عنصر وبين جميع العناصر الباقية وفقا للمشيئة الإلهية. ومن ذلك استنتج أنه إذا كان عنصر الإيقاع في الموسيقى نسخة محاكية لأنموذج كوني، فلابد أن الموسيقى تمثل الحركة الكونية ذاتها على نطاق محدود. وهذه النظرة أفلاطونية للموسيقى رددها أفلوطين قبل القديس أوغسطين.[1]

والحق أن الغناء كان منذ الزمن القديم عنصرا حب في التقاليد الدينية، وكان من الأنبياء من يعتمد على صوته الجميل في جذب الناس، ففي الحديث أن داود عليه السلام قد أُعطي حسن الصوت حتى كان يستمع لقراءته إذا قرأ الزبور الجن والإنس والوحش والطير، وكان بنو إسرائيل يجتمعون فيستمعون، وكان يحمل من مجلسه أربع مئة جنازة ممن قد مات». ولا تزال الكنائس المسيحية منذ نشأتها الأولى عامرة بالأناشيد، وللكنائس الفرنسية تأثر في الموسيقى والغناء يعرفه من يهتم باللوحات الغنائية، وهناك عدد وفير من أناشيد الرهبان، ولا سيما الأناشيد المعروفة بالجريجوارية. والقرآن نفسه لحن وقرئ بالألحان منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وصح للجاحظ أن يحكم بأن القراءة بالألحان غير الغناء.[2]

المبحث السادس: التصوف والطب:

كانت الصلة المتأصلة بين الدين والطب في أوروبا الغربية واضحة بشكل خاص خلال عصر الطب الرهباني، في الفترة من القرن السابع إلى منتصف القرن الحادي عشر. حيث كانت المجتمعات الدينية بمثابة مستودعات للمعرفة الطبية، وكان الرجال والنساء المتدينون يعملون كممارسين للفنون العلاجية لأولئك داخل مجتمعاتهم وخارجها. تضمنت هذه الفنون العلاجات المشتقة من النباتات الموجودة في حديقة الأعشاب أو المستوصف، والنظام الغذائي الخاص، والإجراءات الجراحية، واستخدام التمائم، ونطق الكلمات الصيغية، غالبًا ذات النغمات الدينية - العلاجات التي تمثل العوالم الطبيعية وغير الطبيعية. ومع ذلك، مع إدخال الأفكار المدرسية، تضاءلت أهمية الطب الرهباني. وتُرْجِمَت الأعمال الموسوعية، مثل كتاب "القانون في الطب" لابن سينا (980م-1037م)، إلى اللاتينية. وأُسْتُعِيدَت النصوص الطبية اليونانية من الغموض، وأُكْتُشِفَت مساهمات الطب الإسلامي مع زيادة الاتصال بالعالم العربي. أصبح الطب مجال الجامعات الأوروبية التي أُنْشِئَت حديثًا

[1] جوليوس بورتنوري: **الفيلسوف وفن الموسيقى**، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة حسين فوزي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2023م، ص85.

[2] زكي مبارك: **التصوف الإسلام في الآدب والأخلاق**، مؤسسة عنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص589.

بدءًا من النصف الثاني من القرن الثاني عشر. ومع ذلك، حافظت الرهبانية الرائدة في ذلك الوقت، وهي الرهبانية البندكتية، على تقاليدها في دراسة الطب وممارسته.[1]

كانت هيلديجارد أول عالمة وطبيبة ألمانية. ألّفت كتبًا علمية تستند إلى ملاحظاتها الخاصة عن الطبيعة، بما في ذلك النجوم والنباتات والأشجار والأعشاب والحيوانات والصخور والأحجار الكريمة. احتوت موسوعاتها الطبية على أكثر من ألفي علاج واقتراح صحي، بما في ذلك تجارب على الطب الشعبي. تضمنت بعض مبادئ هيلديجارد الصحية فكرة أن الجسم، مثل الكون، هو نظام طاقة منظم يجب الحفاظ عليه في حالة توازن. والعناصر الديناميكية الأربعة التي يجب الحفاظ عليها في حالة توازن هي الرطوبة والجفاف والحرارة والبرودة. واعتقدت هيلديجارد أيضًا أنه يمكن علاج الأمراض جميعها باستثناء الربو والصداع النصفي، اللذان كانا أكثر صعوبة. ويوجد دلائل على أن هيلديجارد نفسها ربما عانت من هذه الأمراض. كما علّمت أن المبادئ الأربعة للصحة الجيدة هي الراحة (التحرر من التوتر)، واتباع نظام غذائي متوازن، وممارسة الرياضة، وحياة أخلاقية.[2]

قدمت هيلديجارد في كتابها الأحجار الكريمة معلومات عن أحجار كريمة معينة وكيف يمكن استخدامها كدواء وغذاء، مصحوبة أحيانًا بصلاة من أجل علاج شكاوى وأمراض محددة. واتباعًا للنظريات الطبية السائدة الموروثة من العالم القديم، كانت الأمراض في زمن هيلدغارد تُفهم عادةً على أنها خلل في أحد العناصر الأربعة أو "الأخلاط" داخل جسم الإنسان. وكانت الأخلاط الأربعة الرئيسية هي الدم، والصفراء، والسوداء، والبلغمblood, yellow bile, black bile, and phlegm . وارتبط كل أخلاط بإحدى الصفات الأربع (حار، بارد، رطب، جاف)، بالإضافة إلى الفصول الأربعة وأنواع الصفات الأربعة؛ فعلى سبيل المثال، كان الدم حارًا ورطبًا، بينما كانت الصفراء حارة وجافّة. كانت الصحة تكمن في التوازن بين هذه الأخلاط الأربعة وصفاتها، بينما كان المرض ناتجًا عن اختلال توازن هذه السوائل. وكان على الطبيب استخدام الوسائل المتاحة له لاستعادة توازن الأخلاط.[3]

لقد استعادة هيلديجارد يتعاليمها بعض المواضيع المألوفة في الحكمة الطبية التقليدية، ولكن ضمن إطار روحي، حيث يُنظر إلى المرض الجسدي ليس فقط كوسيلة لاختبار القدرة الروحية، ولكن كعلامة على اختلال التوازن الروحي داخل الإنسان. وكانت تشير باستمرار إلى الأمراض الجسدية التي عانتها طوال حياتها. في

---

[1] Debra l. stoudt: **The Medical, the Magical, and the Miraculous in the Healing Arts of Hildegard of Bingen**, In A Companion to Hildegard of Bingen, Edited by Beverly Mayne Kienzle, Debra L. Stoudt & George Ferzoco, Copyright by Koninklijke Brill NV, Leiden, 2014, PP. 250-251.

[2] Nancy Fierro: **Hildegard of Bingen and Her Vision of the Feminine,** P.21.

[3] https://unamsanctamcatholicam.com/2022/04/25/st-hildegard-on-gemstones/
تاريخ الدخول 2024/10/12م.

حين يبدو أن جوتا قد عالجت الجسد من خلال تمارين الزهد، فقد فهمت هيلديجارد أن الحياة الروحية تنطوي على استعادة الانسجام الجسدي والروحي.[1]

لعبت هيدليجارد دوراً مهماً في كيفية تفسير المرض من خلال الله والأسباب الطبيعية، وهذا واضح من خلال نصوصها الطبية. فهي كراهبة كانت تؤمن بالقوة الإلهية والصلاة للشفاء، لكنها أدركت أيضًا أن هناك أشكالاً طبيعية للشفاء من خلال الحالة المزاجية. فعلى الرغم من وجود علاج للمرض خارج الصلاة، إلا أن المريض كان بيد الله.[2]

يحدد كتابي "الطب" و"السبب والعلاج" لهيلديجارد المعالج باعتباره الشخص الذي ينبغي له إعداد واستخدام العلاجات، إلا أنه في بعض الأحيان يُطلب من المريض أيضًا المشاركة بنشاط في عملية العلاج. على سبيل المثال في علاج الصرع باستخدام الزمرد. توصي هيلديجارد بوضع الحجر في فم الشخص المصاب؛ هذا الفعل في حد ذاته من شأنه أن يحيي روح الشخص؛ لأن الزمرد ممتلئ "بحيوية الهواء" (viriditate aeris). بمجرد أن تهدأ النوبة، يجب على المصاب بالصرع أن يصلي من أجل نعمة الله لملء جسده، كما ملأ نفس الله العالم. هنا يتحمل الفرد المتألم المسؤولية عن حالته ويتصرف لإحداث شفائه. فهيلديجارد مثل غيرها من النساء المتدينات في العصور الوسطى، أظهرت قدراتها العلاجية ليس فقط من خلال العلاجات التي تستخدم النباتات وغيرها من المواد الطبيعية ولكن أيضًا من خلال استخدام الكلمة المنطوقة والمكتوبة. حيث تتمتع الكلمات بقوة إلهية، وغالبًا ما تُسْتَعَارمن الكتاب المقدس أو الطقوس، مما يمنح المعالج القدرة على تنفيذ إرادة الله - إذا كان الشفاء هو ما يقصده الله حقًا. إن ممارس فنون الشفاء ليس سوى سبب: ولكن القدرة على الشفاء محفوظة لله وحده.[3]

لقد احتوى كتاب الفيزياء " الطبيعة " Physica لهيلديجارد على تسعة كتب، اشتمل الكتاب الأول على مائتين وثلاثين قسمًا حول الاستخدامات الطبية للنباتات. ولم تبذل هيلديجارد أي محاولة لوصف النباتات بغرض التعرف عليها، بل إنها افترضت النظريات الطبية والفسيولوجية التي تقف وراء استخدامات النباتات، بدلاً من توضيحها. ولكنها على الرغم من ذلك كانت تتبع النظرة التقليدية للأشياء المخلوقة التي تتكون من خليط من أربعة عناصر - حار، بارد، رطب، جاف - حيث تسود نوعية أو اثنتان. وهي تجمع بين العناصر والمفهوم اللاهوتي المستمد في النهاية من سفر التكوين، والذي يشير إلى أن كل شيء على الأرض قد وُضِع هناك لاستخدام البشر. ولأن توازن العناصر والأمزجة المقابلة لها يحدد صحة الإنسان ، فقد كان من المهم

---

[1] **Encyclopedia of Medieval Philosophy , Philosophy Between 500 and 1500**, Editor – in - Chief Henrik Lagerlund , P.477, " art: Hildegard of Bingen".

[2] توبياس لانسلور: **الشذوذ الجنسي في أوربا الوسطى**، كامبردج ستانفورد ، كامبردج، 2019م، ص1319.

[3] Debra l. stoudt: **The Medical, the Magical, and the Miraculous in the Healing Arts of Hildegard of Bingen**, P. 268.

معرفة الصفات الأساسية للنباتات. ومن ثم يستطيع الناس تحديد تأثيرها على الأشخاص الذين يأكلونها أو يستخدمونها، وفقاً لما إذا كانوا في الحالة مزاجية " الفكاهة" أو خارجها ـ أي في حالة متوازنة أو غير متوازنة. والحقيقة الأكثر أهمية التي تذكرها هيلديجارد عن النباتات هي ما إذا كانت حارة أو باردة، وهي الصفات المتعارضة التي تكتسب أكبر قدر من الأهمية للأغراض الطبية. وبعد أن تنقل هذه المعلومات، تشير عادةً إلى الأغراض الطبية التي يخدمها النبات المعني.[1]

يمكن أن يكون النبات مفيدًا أو عديم الفائدة "ضارًا"، وهذا يعتمد على كيفية توافق صفاته مع صفات جسم الإنسان. هذا بالإضافة إلى وجود ديناميكية أخلاقية وروحية، فالأعشاب المفيدة تظهر الجانب الروحي للإنسانية، بينما تُظهر النباتات عديمة الفائدة أو الضارة أخلاق الإنسان العبثية "الشيطانية " الشريرة" " . فكل من النفس " الروح" والجسد انعكاس للعالم أو الكون الأكبر.[2]

إن فهم هيلديجارد للعلاقة بين الخطيئة والمرض دقيق ومبتكر. فاضطراب المزاج يسبب المرض بكل أشكاله "الجنون، والتشوهات، والغباء، والشلل، والسرطان، والنقرس" ـ بل ويسبب أيضاً عيوباً في الشخصية مثل القسوة والعناد. فالمرض ليس سوى أحد مكونات الشقاء العام أو الكلي الذي تسبب فيه السقوط؛ ومن ثم فإن البشر لا بد أن يتوبوا عندما تتعطل عناصر العالم، وكذلك عندما تتعطل أمزجتهم الجسدية. فهم ضحايا ومرتكبون لهذه الكوارث في آن واحد. وقد رأى البعض أن هذا التفسير لمشكلة المرض "يكرم فن وأدوات الطب" باعتباره نظيراً للصلاة أو التوبة.[3]

دفع اهتمام هيلديجارد بالطب إلى التعاطف العملي وعلاج مشاكل النساء. كانت واحدة من المعالجين القلائل المعروفين الذين علقوا على أمراض النساء والتوليد. لم يكن معظم أطباء العصور الوسطى يقبلون النساء كمرضى حتى يتمكنوا من "تركيز جهودهم على الجنس اللائق". كتبت باربرا نيومان Barbara Newman، الباحثة في تاريخ هيلديجارد، عن العلاجات المختلفة التي وصفتها هيلديجارد للنساء. وشملت هذه العلاجات الحمامات العشبية لآلام الدورة الشهرية واستخدام الأحجار الكريمة مع التعاويذ لعلاج العقم. حتى إنها كانت لديها جرعة خاصة للنساء لاستخدامها لتجنب التعرض للمضايقة من قبل العشاق غير المرغوب فيهم! تشير نيومان إلى أن أرثوذكسية هيلديجارد منعتها من تضمين المساعدات الطبية للإجهاض أو تحديد النسل أو التظاهر بالعذرية.[4]

الخاتمة:

---

[1] Hildegard: **Healing Plants**, Translated by BruceW. Hozeski, p.xi-xii.

[2] faith wallis: **Hildegard of Bingen: Illness and Healing,** chapter7, PP.154-155.

[3] **Ibid,** P.160

[4] Nancy Fierro: **Hildegard of Bingen and Her Vision of the Feminine,** P.21.

1- لقد خطت هيلديجارد درباً جديداً فيه تحدي للمألوف في دائرة اللاهوت، فهي لم تفسر نصاً انجيلا، وتعارض وتؤيد مذاهب لاهوتية كانت سائدة حينئذ، فقد كانت تجربتها اللاهوتية تجربة تعتمد على الرؤية والمشاهدة والكشف الصوفي الحي المتمثل كما قالت في " النور الحي"، ولذلك جاء لاهوتها شاهدة صوفية، فقد زعمت بأنها رأت بالوحي ما عجز رجال اللاهوت من معاينته، على الرغم من وجود جدل حول رؤياها الصوفية، إلا أنها انتصرت وساد لاهوتها وتحولت إلى نبيه وناصحة للإمبراطور والسياسيين وتقريباً لنصف أوربا يومذاك. وبذلك صعدت إلى الطوابق العليا في التجربة الدينية المسيحية تلك التي منحتها سلطة جعلت الصغير والكبير من رجال اللاهوت والسلطة الكهنوتية ممثلة بشخص البابا أن يطلب منها الاستمرار في كتابة رؤياها ومشاركته في نسخ منها للقراءة والاطلاع.

2- على الرغم من تعرض هيلديجارد للهجوم عليها والتقليل من شأنها بسبب جنسها، إلا أن ذلك لم يؤثر في مسيرتها، فقد استطاعت أن تتحدى عمل رجال الدين واللاهوت المسيحيين حينئذ الذين احتكروا تفسير النصوص المقدسة لفترة طويلة، ووضع النظريات اللاهوتية التي تتفق مع مصالحهم الشخصية وتدافع عن مكانتهم، وتعزز سلطتهم المعرفية، إلا أنها تمكنت من كسر دائرة الاحتكار الرجولي لمضمار اللاهوتيات، وأصبحت لها سلطة لاهوتية، يأتي إليها رجال اللاهوت بمختلف منازلهم، ورجال السلطة السياسية ممثلة في الملوك إضافة إلى حشود المؤمنين البسطاء.

3- لقد استطاعت هيلديجارد من خلال رؤاها الصوفية الجمع بين العلم والإيمان وجعلتهم متلازمين، ورأت أنهما كيانان لا ينفصلان. يمكن لطلاب العلوم المعاصرين أن يتعلموا الكثير من كتاباتها، متجاوزين المبادئ العلمية القديمة واللاهوت المشكوك فيه أحياناً هذا بالإضافة إلى أنها رؤيتها بأن العلم يشير إلى الله؛ فهي كانت تؤمن بنفس الرأي قبل ألف عام. فقد علّمت أن الله قد تجلّى في خلقه، وأن الزهور والعشب والأشجار والحيوانات كلها تُشير إلى كائن إلهي.

4- يتفق مفهوم التصوف وطبيعته عند هيلديجارد مع مفهوم التصوف عند متصوفة الإسلام " الغزالي على سبيل المثال"، وهذا دليل على أن التصوف بصفة عامة لا يختص بدين محدد دون آخر، ولا فلسفة معينة دون سواها، بل هو تجربة وجدانية تتسم بها كافة الأديان السماوية وغير السماوية، تجربة نابعة من صميم الحياة الروحية التي يعيشها الفرد داخل منظومته الدينية.

5- لقد استطاعت هيلديجارد الربط بين التصوف والطبيعة الوصول إلى الحكمةِ من وراء الخَلْق، والعلةِ من وراء الموجودات، وإدراك الأسرار الكامنة في الكائنات، وإشباع شغف الإنسان بالاطلاع الأمثل والأشمل على الكون وخالقه؛ أي الانتقال من عالم المشاهدة إلى عالم الشهود، ومن المُلك إلى الملكوت. وهذا يجعل التصوف مرحلةً متقدمة وتالية للعلوم الطبيعية في بحثه عن أسرار الكون، وسعيه وراء الحكمة الكامنة في الكائنات، وهذا ما يتفق مع روح الإسلام فالقرآن الكريم يلفت الانتباه في كثير من مواضعه إلى الأسرار والحكم في

الكائنات، فقد قال الله -عز وجل-: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ". (الحج، 46)

6- وجهت هيلديجارد رسالة وهي أنه يجب استخدام العلم لخدمة عالمنا، فكانت سابقة لعصرها في إدراك فوائد الطبيعة لسكانها. ودعت إلى إيقاظ "قوة التخضير" فينا لرعاية عالمنا، فالخضرة تُحسّن الصحة النفسية، والنباتات تُساعد على تنقية الهواء، وحثت قراءها على إدراك أهمية رعاية العالم، وأنه يجب علينا أن نستفيد استفادةً عظيمةً من الأرض من حولنا.

7- لقد اتفقت هيلديجارد في قولها بأن الله خلق كل شيء قبل بداية العالم، وقبل بداية الزمن مع فلاسفة الإسلام ومنهم الفارابي الذي قال بحدوث العالم ، وأن وجود العالم بعد وجود لله، وأنه ليس للعالم ليس له بدء زماني.

8- كانت دراسة هيلديجارد للعالم الطبيعي بمثابة دعوة إلى كل مسيحي يرغب في أن يكون عالماً، فلقد تمكنت من خلال دراستها للنباتات الطبيعية أن تستخرج عقارات وعلاجات للأمراض المختلفة. فاستطاعت الجمع بين النزعة الصوفية والنزعة العلمية، وهذا يؤكد مقولة أن العاطفة الصوفية هي الملهم لأعظم ما يكون الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر:

1- HILDEGARD VON BINGEN: **DER WEG DER WELT,** ÜBERSETZT VON, DR. MARIA-LOUISE LASCAR, VERLAG VON R.OLDENBOURG, BERLIN, 1929.

2- HILDEGARD OF BINGEN: **SCIVIAS,** TRANSLATED BY MOTHER COLUMBA HART AND JANE BISHOP, INTRODUCED BY BARBARA J. NEWMAN, PREFACE BY CAROLINE WALKER BYNUM, PAULIST PRESS , NEW YORK , 1990.

3- HILDEGARD OF BINGEN: **Liber Vitae Meritorum**, translated by Bruce W. Hozeski, Oxford University Press, New York, 1997.

4- Hildegard**: Healing Plants**, Translated by BruceW. Hozeski, Beacon Press, Boston, 2001.

5- Saint Hildegard**: Homilies on the Gospels**, Translated with Introduction and Notes by Beverly Mayne Kienzle, published by Liturgical Press, Abbey of Gethsemani, 2011.

6- HILDEGARD OF BINGEN: **Solutions to Thirty-Eight Questions**, Translated by Beverly Mayne: Kienzle with Jenny C. Bledsoe and Stephen H. Behnke , Introduction and Notes by Beverly Mayne Kienzle with Jenny C. Bledsoe, LITURGICAL PRESS , Collegeville, Minnesota , 2014.

7- ST. HILDEGARD OF BINGEN: **THE BOOK OF DIVINE WORKS,** Translated by NATHANIEL M. CAMPBELL, THE CATHOLIC UNIVERSITY OF AMERICA PRESS, Washington, D.C., 2018.

ثانياً: المراجع:-

أ- العربية:

1- أبو الوفا التفتازاني: **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1979م.

2-الامام الغزالي: **مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار**، شرح ودراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986م.

3- إلياس سعد غالي: **غوريغوريوس الكبير(535م-604م) في محاوراته**، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1987م.

4- توبياس لانسلور: **الشذوذ الجنسي في أوربا الوسطى**، كامبردج ستانفورد، كامبردج، 2019م.

5- جاريث ب. ماثيوز: **أوغسطين**، ترجمة فؤاد زهري، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2013م.

6- جوليوس بورتنوري: **الفيلسوف وفن الموسيقى**، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة حسين فوزي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2023م.

7- جوناتان هيل: **تاريخ الفكر المسيحي**، ترجمة سليم اسكندر، مايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م.

7-حسن حنفي: **حصار الزمن: الماضي والمستقل (علوم)**، الجزء الثالث، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2023م.

8-زكي مبارك: **التصوف الإسلام في الآدب والأخلاق**، مؤسسة عنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

9-عبد الرحمن بدوي: **فلسفة العصور الوسطى،** دار القلم، بيروت، ط3، 1979م.

10-ماجد فخري: **تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس (585ق م) غلى أفلوطين (270م) وبرُقلس (485م)،** دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.

ب- الأجنبية:

1- Barbara Newman: **Hildegard's Life and Times,** In Voice of the Living Light: Hildegard of Bingen and Her World, UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS, London, 1998.

2- Debra l. stoudt: **The Medical,** the Magical, and the Miraculous in the Healing Arts of Hildegard of Bingen, In A Companion to Hildegard of Bingen, Edited by Beverly Mayne Kienzle, Debra L. Stoudt & George Ferzoco, Copyright by Koninklijke Brill NV, Leiden, 2014.

3- Gabriele Uhlein: **Meditations with Hildegard of Bingen,** Copyright by Bear, United States, 1983.

4- Henry Osborn Taylor: **THE MEDIAEVAL MIND A HISTORY OF THE DEVELOPMENT OF THOUGHT AND EMOTION IN THE MIDDLE AGES,** Vol.1, THE MACMILLAN COMPANY, Third (American) edition, New york, 1919.

5- James Ginther: **Hildegard of Bingen's Theology,** In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, Cambridge University Press, United Kingdom, 2021.

6- James L. Halverson: **Contesting Christendom Readings in Medieval Religion and Culture,** ROWMAN & LITTLEFIELD PUBLISHERS, INC, New york, 2008.

7- John Gunn: **HILDEGARD A play,** published by Turnkey Productions, Avalon Beach, NSW,1999.

8- Joseph L. Baird: **The Personal Correspondence of Hildegard of Bingen,** OXFORD UNIVERSITY PRESS, New York, 2006.

9- Maud Burnett McInerney**: Hildegard of Bingen A Book of Essays,** Publishing Turnhout, Belgium, 2013.

10- Mark J.T. Griffin: **The cathar Prophecy,** Published by Power of One Ltd, Great Britain, 2007.

11- Nancy Fierro: **Hildegard of Bingen and Her Vision of the Feminine,** Published by Sheed& Ward, Kansas City, 1994.

12- Peter V. Loewen: From the Roots to the Branches: **Greennessin the Preaching of Hildegard of Bingenand the Patriarchs,** In THE CAMBRIDGE COMPANION TO HILDEGARD OF BINGEN, edited by JENNIFER BAIN, Cambridge University Press, United Kingdom, 2021.

ثالثاً: دوائر المعارف والمعاجم:

أ- العربية:

1- الأب صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي،** دار المشرق، بيروت، ط2، 1998م.

2- جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون – اللاهوتيون – المتصوفون)**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006م.

3- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، من (أ-س)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م.

4- روني إيلي ألفا: **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب،** الجزء الأول، مراجعة وتقديم جورج نخل، شارل حلو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.

ب- الأجنبية:

1- **Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy,** Published by Routledge, London, 2000.

2- **Encyclopedia of Catholic social thought, social science and social policy, volume There,** Edited by Michael L,Coulter….(et al), Published by Scarecrow, United States of America, 2012.

3- **Encyclopedia of Medieval Philosophy , Philosophy Between 500 and 1500,** Editor – in - Chief Henrik Lagerlund , Publisher by Spring , Lonbon , 2011.

4- **The catholic Encyclopedia,** volume Two, Edited by CHARLES G.HERBERMANN, The Encyclopedia Press, New York, 1913.

رابعاً: مواقع على الانترنت:-

- https://www.worldhistory.org/Hildegard_of_Bingen.
- https://www.thecollector.com/hildegard-of-bingen-notable-works/.
- https://www.poetryfoundation.org/poets/hildegard-of-bingen.
- https://unamsanctamcatholicam.com/2022/04/25/st-hildegard-on-gemstones/.
- https://ca.thegospelcoalition.org/article/augustine-on-humility/.
- https://www.globalsistersreport.org/news/spirituality/column/why-st-hildegards-spirituality-viriditas-extraordinary.
- https://www.healthyhildegard.com/hildegard-von-bingen/
- https://sciencenetwork.uk/think/hildegard-of-bingen
- https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1414/.
- https://unamsanctamcatholicam.com/2022/04/25/st-hildegard-on-gemstones/.
- https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_2091.html.